

الفَوْكُ
فِي سَرِّ الْمِسْتَدِلَاتِ
حِكْمَةُ الْفُصُوصِ
لِشَيْخِ الْأَكْبَرِ عَيْيَيِ الدِّينِ ابْنِ عَرَفَتٍ

تألِيفُ

الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخُ
صَدُّوقُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ اسْحَاقَ الْقُونُوِيُّ
المُتَوفِّيَّ نَوْفَمْ ٦٧٣ ص

ضَيْطُهُ وَصَمَدُهُ وَرَضْعُ هَوَاسِهِ
الشَّيْخُ الْكَثِيرُ عَاصِمُ إِبْرَاهِيمُ الْكَيَّاَيِّ
الْحُسَيْنِيُّ الشَّاذِلِيُّ الدَّرْقاوِيُّ



**Al-fukūk
fi asrār mustanadāt
ḥikam ‘Al- Fuṣūṣ’**

**الفوكوك
في أسرار مستندات
حكم الفصوص**

المؤلف : الشيخ صدر الدين القونوي (ت 673هـ) / Al-Sheikh Sadruddin Al-Qounawi (D.673H.)

Editor : Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : 1434 H. - 2013 A.D

سنة الطباعة : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

Pages: 128

عدد الصفحات : ١٢٨

Size : 17 × 24 cm

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : Lebanon

بلد الطباعة : لبنان

Edition : First edition

الطبعة : الأولى

ISBN : 978-2-7451-6363-9

All Rights Reserved



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel : +961 76 944 855 P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

Exclusive rights by © BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any form or by any
means, or stored in a data base or retrieval system, without
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS - PUBLISHER
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation
préalable signée par l'éditeur est illégale et exposerait le contrevenant à
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة © BOOKS - PUBLISHER
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضييد الكتاب
كاملًا أو جزءًا أو تعبيره على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أنظمة حاسوبية إلا بموافقة الناشر خطياً.



ISBN 978-2-7451-6363-9
ISBN 2-7451-6363-9

9 0 0 0 0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص بمقتضى ﴿لَيْسَ كَمِثْلُهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] الرحمن بخلقه أجمعين إذ أخرجهم برحمته من عالم الإمكان مرجحاً وجودهم على عدمهم، بمقتضى ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156] وبمقتضى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: 5] والرحيم بعباده المؤمنين المتحققين بأنوار تجليات الأسماء الإلهية الحسنة التسعة والتسعين.

والحمد لله منزل جوامع كلم أسرار الأنبياء على الخليفة الكامل، بما جاء به من دين كامل، جامع لأنوار شريعة الإسلام، وأسرار طريقة الإيمان، وحقائق حقيقة الإحسان، سيدنا محمد ﷺ عبد الله ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله، الإنسان الكامل الجامع لتجليات الجلال، والجمال شهادة ملكه وملكت قلبه وجبروت روحه.

وبعد ففي إطار تصوّف الشهدود والعيان، تصوّف مقام الإحسان، مقام أن نعبد الله كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، نقدم للقراء الكرام المهتمين بهذا النوع من العلم الروحي الجبروتي كتاب (الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص) للشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القوني الرومي من كبار تلامذة الشيخ الأكبر الذين ورثوا علومه، فقد تزوج الشيخ أمه ورباه في حجره، لذا فقد تشربت روحه علوم الشيخ الأكبر وصار الأقدر على فك رموزه وإشاراته الصوفية.

وكتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر هو كما يقول القوني من أنفس مختصرات تصانيفه وهو من خواتيم منشأته وأواخر تنزلاه، ورد من منبع المقام المحمدي والمشرب الذاتي الجمعي الأحادي، فجاء مشتملاً

على زبدة ذوق نبينا صلوات الله وسلامه عليه في العلم بالله ومشيراً إلى محتد أذواق أكابر الأولياء والأنبياء المذكورين فيه ومرشداً لخلاصة أذواقهم وما تضمنه مقام كمال كل منهم.

وعن سبب تأليف القونوي لكتابه الفكوك يقول: «ورغبوا (أي تلاميذه) في حل مشكلات هذا الكتاب واستجلاء غوامض أسراره الكلية وعلومه العلية التي هي غذاء أرواح أولي الألباب... واقترحوا على أن أفك ختومه وأوضح سرّ محتده وأكشف مكتومه وأفتح مقلنه بما يفصل مجمله فأجبتهم إلى ذلك».

ويبيّن المؤلف أنه لم يكتب كتابه الفكوك بعلمه العقلي الكسيبي، بل بالأخذ عن الله دون واسطة سبيبة بل بمحض عنایة إلهية.

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا وال المسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين ومن أنوار ما تعبدنا الله به على لسان نبيه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿لَفَدَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ أَخْرَى وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] ، و قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝﴾ [النجم: 3 - 4] ، و قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝﴾ [النساء: 69] لنناول السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا ، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِنُ نَّاصِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: 22 - 23].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة المؤلف الشیخ⁽¹⁾

صدر الدین القونوی

- هو الإمام المحقق الشیخ محمد بن إسحق بن محمد بن يوسف بن علي القونوی الرومی نسبة إلى بلدته قونیة، وكانت تحت حکم الرومان وهي الآن إحدى مدن جنوب تركيا.
- كان القونوی شافعی المذهب الفقهي، أكبری المشرب الصوفی، فهو من خواص تلامیذ الشیخ الأکبر محیی الدین بن عربی الحاتمی المقرّبین، الذين أخذوا عنه ونشروا مذهبہ، وربما يعود السبب في ذلك إلى عاملین، الأول: أنّ أمه أرسلته بعد وفاة والده وهو ما زال طفلاً غرّاً إلى الشیخ الأکبر محیی الدین بن عربی حيث درس على يديه الفقه وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءات، وسرعان ما تأثر بشیخه وبمذهبہ الصوفی فزهد في زخارف الحياة الدنيا وانكبّ على التصوّف علمًا وعملاً.
- والثاني: أنّ الشیخ الأکبر تزوج أمه فشجّعه ذلك على ملازمته حتى وفاته آخذًا عنه الكثير من العلوم والأسرار والحقائق الصوفية.
- جَرَت مکاتبات عديدة بين الشیخ صدر الدین القونوی نصیر الدین الطوسي في كثير من المسائل الفقهية التي عمّت معارفه في ميدان الفقه الإسلامي وخاصة المذهب الشافعی كما جرى بينهما مُکاتبات في مسائل

(1) للتوسيع في ترجمته يرجع للمصادر التالية: الاعلام للزرکلی (6/30) ومفتاح السعادة (1/451) و2/211 وطبقات السبکی 5/19 وجامع کرامات الأولیاء (1/133) وكشف الطنون (2/1956) وبروکلمان (1) والکتبخانة (5/363 و364 و7/176 و382).

الطريقة والحقيقة.

- كان له علاقات قوية مع نخبة من العلماء العارفين بالله تعالى من أمثال الشیخ سعد الدين الحموي وملا جلال الدين الرومي مؤلف «المثنوي» والشیخ أوحد الدين الكرمانی والشیخ عبد الحق بن سبعين مؤلف كتاب «بد العارف».
- تتلمذ على يديه كل من الشیخ سعد الدين الفرغانی والشیخ فخر الدين العراقي والشیخ عفیف الدين التلمساني وقطب الدين الشیرازی.
- ترك القونوی العديد من الكتب القيمة التي أثّرت المكتبة الإسلامية في علمي الشریعة والحقيقة.
- ومن كتبه: «إعجاز البيان في تفسير أُم القرآن وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، والنصوص في تحقيق الطور المخصوص، واللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية وقد نشر بتحقيقنا، ومفتاح الغيب وشرح الأحاديث الأربعينية، وشرح الأسماء الحسنى، والرسالة الهادية والنفحات الإلهية القدسية، والرسالة الرشيدية في أحكام الصفات الإلهية، والرسالة المفصحة، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، وقد نشر بتحقيقنا وبرزخ البرازخ».
- ولد القونوی في بلدته قونية الواقعة جنوب تركيا وهو مجهول تاريخ الولادة، وتوفي فيها سنة 673 هـ / 1275 م ودفن في أحد الزوايا التي أصبحت فيما بعد مقاماً له يُزار حتى يومنا هذا.

[هو]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الفكوك

في أسرار مستندات حكم الفصوص

1 - الحمد لله الذي أطلع من مشارق غيه الأخفى شموس أنواره الباهرة، وأخشع لهيتيه الأبهى أرواحه النيرة الطاهرة، وأخضع لفوض حكمه وإنفاذ حكمته المثلى بسطوات قهره النفوس الأبية النافرة، وأجزع من صدمات نقمته الكبرى الفرقة المستكبرة، فانقادت لحكمه صاغرة، وأسمع عصابة الإسلام والإيمان والتقوى خطابه الكريم وسلك بها صراطه المستقيم، فابتدرت لأوامره طائعة ولأنعمه شاكرة، وأودع قلوب أرباب مقام الإحسان والصديقة العظمى أسرار الأعمال والشائع الباقية والغابرة، وأمتع أولي الألباب والنهاى بما أطلعهم عليه من لطائف الحكم وغرائب العلوم المودعة في الأرضين الساكنة والأفلak السائرة، وتمتنع في حجاب عزه الأحمى عن درك البصائر النافذة والأحداق الناظرة، وأطعم الصفوة من أحزبه في وصله وقربه الأنهاى فآثارته على من سواه، وطلبتة برغبة وافية وافرة.

2 - ثم أقطع من تلك الجملة لحضرته الزلفى الأخلاص من الجميع والأصفى، فشرفهم بعد تعرفه إليهم وإشهاده بدوام لقياه وخلالص وداده وخصصهم بنيابته فقاموا وسائله بينه وبين عباده، فانعمرت به سبحانه وأوقاتهم وأحوالهم الباطنة والظاهرة، وأسرع إليهم بالإجابة إلى ملتمسهم

وترائي إليهم في آيات الآفاق وفي أنفسهم فتحققوا بمعرفته وشهوده بقلوب منورة وعيون باصرة.

3 - وصلى الله على الأكمل حظاً من هذا الشرف الأسمى والمتعدد بكمال ترقيه مقام قاب قوسين أو أدنى إلى المورد الأخلى والموقف الأجلى - مشرع الصفات والأسماء الحسنى - سيدنا محمد وآله وعترته والكامل من إخوانه والكامليين من ورثته سادات الدنيا والآخرة.

4 - وبعد: فإن كتاب فصوص الحكم من أنفس مختصرات تصانيف شيخنا الإمام الأكمل، قدوة الكمال هادي الأمة، إمام الأئمة محبي الحق والدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي رضي الله عنه وأرضاه به منه، وهو من خواتيم منشأته وأواخر تنزلاته، ورد من منبع المقام المحمدي والمشرب الذاتي والجمع الأحدى، فجاء مشتملاً على زبدة ذوق نبينا صلوات الله عليه في العلم بالله، ومشيراً إلى محدث أذواق أكابر الأولياء والأنبياء المذكورين فيه، ومرشدًا كل مستبصر نبيه لخلاصة أذواقهم ونتائج متعلقات هممهم وأشواقهم وجوامع محسولاتهم وخواتم كمالاتهم، فهو كالطابع على ما تضمنه مقام كمال كل منهم، والمنبه على أصل كل ما انطواوا عليه وظهر عنهم.

5 - ولا شك أن الاطلاع على أسرار كتاب هذا شأنه ومنبع علم هذا عنوانه موقوف على التحقق يورث كل من ذاق ذلك كله وفتح به عليه وكشف له عنه وأرسل به إليه.

6 - ثم إنه لما أورد التعريف الإلهي إلى هذا الضعف باختصاصه بسر الآخرية وأنه لا وارث لكمال جمعيته من صحبه غير ربه، تالم لانطواء هذا البساط الإلهي⁽¹⁾، ونقض هذا الفسطاط العلي: فأخبر أنه سيقى لبعض

(1) إلى: رباني، إلهي، والإل: العهد والقرابة والأصل الجيد ، وكل اسم آخره إل أو إيل فمضاف إلى الله تعالى (القاموس المحيط ، مادة آل).

ما تشمل عليه هذه الجمعية حملة تابعون، كما قال صلی الله عليه وآله:
«يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وزبغ المبطلين»⁽¹⁾.

7 - فحمد الله وسُرّ بهذه الأخبار وبقي منصبغ الحال بحكم الترجي والانتظار، فأقام الحق في هذا الوقت طائفة من خلص الإخوان وخاصة الأصحاب والخلان من أهل النفوس الفاضلة، الذين لم يقفوا عند ما وقف عنده أهل الهمم النازلة، بل عملوا بموجب ما اختاره سبحانه للصفوة من أحبابه وأشار إليه في محكم كتابه بقوله: ﴿وَلِكُلِّ درَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: 19] ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُولِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَتِ﴾ [البقرة: 148] فحملتهم المسابقة بالهمم السنية إلى نيل المراتب العالية، ورأوا أن للمعقول حداً يقف عنده من حيث أفكارها التقييدية.

8 - فإن في المعلومات ما لا تستقل العقول النظرية بإدراك حقائقها وأسرارها لغلبة أحکامها الإمكانية، وإن بصائرهم تعشى عن استجلاء أنوارهم المطلقة الربانية، ورغبوا في حل مشكلات هذا الكتاب واستجلاء غواص أسراره الكلية وعلومه العلية التي هي غذاء أرواح أولي الألباب، الذين خلصوا من حبس قيود مدارك الفكر والحس، وخرجوا إلى فسيح حضرة القدس، فأدركوا حقائق الأشياء في مراتبها الكلية بالإدراكات المقدسة المطلقة الإلّية، واقترحوا على أن أفك ختمه وأوضح سرّ محنته واكتشف مكتومه وأفتح مقفله بما يفصل مجمله.

9 - فأجبتهم إلى ذلك علمًا مني باستحقاقهم وتقرباً بيارشادهم إلى خلاقيهم؛ هذا مع إني لم أستشرح من هذا الكتاب على منشئه رضي الله عنه سوى الخطبة - لا غير - لكن مَنْ الله عليّ ببركته أن رزقني مشاركته في الاطلاع على ما اطلع عليه والاستشراف على ما أوضح لديه والأخذ عن

(1) رواه الديلمي في الفردوس بتأثير الخطاب عن ابن عمر، حديث رقم (9012) [5/537].
 ورواه الطبراني في مسنده الشامي عن علي بن مسلم البكري برقم (599) [1/344].

الله دون واسطة سببية، بل بمحض عنایة إلهية ورابة ذاتية يعصمني فيما أورده من أحکام الوسائل وخواص الأسباب والشروط والروابط، ويجعل ذلك خالصاً لوجهه متقرباً إليه نافعاً لي ولهم هنا ويوم الورود عليه؛ آمين. رب العالمين.

10 - واعلم فتق الله بنور إرشاده فهمك وحقق بموجب علمه الأعلى الذاتي علمك: إن الفص عبارة عن خاتمة علوم كل مرتبة من المراتب المذكورة في هذا الكتاب وصورة أحدية جمعها، ونسبة أحکام كل مرتبة إلى المرتبة من وجه نسبة أجزاء العنصر إلى المزاج المتحصل منها والهيئة المتعقلة في عرصة العلم من اجتماع أحکام المرتبة، أية مرتبة كانت في المراتب المذكورة، وإلى أي اسم من الأسماء الإلهية استندت، هي كالنشأة الإنسانية المسوأة.

11 - والفص الذي هو خاتمة علومها والحاائز بأحدية جمعية أحکامها الكلية كالروح المنفوخ في تلك النشأة المسوأة.

12 - ونقش كل فص الكلام المعرّب عن معنوية ذلك الفص ومعقوليته وما تشتمل عليه تلك المعنوية من حيث كليتها من الأمور التفصيلية والمسائل العلمية.

13 - والحكمة عبارة عن ضوابط تلك المسائل العلمية والأحكام الكلية بطريق الحصر لها مع التنبيه على أصل محتدتها ومستندتها من مطلق علم الحق والتعريف لذاته سبحانه من حيث تعينه في تلك المرتبة، ومن ظهر بها وفيها ظهوراً معرباً عن المراد الإلهي الذي هو متعلق الإرادة الذاتية الأولى، وسر ذلك المتعيين وما هو المراد بعينه.

14 - والمراد بالتبعية والكلمة عين ذلك النبي المذكور من حيث خصوصيته وحظه المتعيين له ولأمته من حكم الحق الذي هو شريعته التي من حيثها يسمى نبياً.

15 - وأما من حيث معرفته بالحق ومن حيث علم الحق به وبلوازمه

والمؤقت والمتناهي من كل ذلك وغير المؤقت وغير المتناهي ، فذلك جهة ولايته ، ولكل كلمة كمال نسبي يخصها .

16 - وللأول والآخر الكمال الحقيقى ، ولمن بينهما من الكمال بمقدار ما يشهد له الخاتم بالفص المترجم عن شأنه وشأن غيره ، ولهذا الخاتم المترجم من كونه مترجماً عن كل شيء بكل شيء وبأخذية جمعه الإحاطة بجميع ذلك - كالعلم الذاتي الإلهي - لأنه صورة التعيين الأول العلمي الذاتي الجامع للتعيينات كلها ، الذي من حيث هو يتعقل إطلاق الحق السابق كل تعيين ، والذي من جهته يتعقل مبدئيته ووجوب وجوده ووحدته وفياضيته وإيجاده ما أوجده بموجب تعلق علمه بنفسه وبكل معلوم على ما هو المعلوم عليه في نفسه ، وإظهاره إياه بموجب حكم علمه فيه .

17 - والكل يسمى بالكلمة حصة من الحقيقة الإنسانية الكمالية ، وللجماعين للحصص ثلاث مراتب كلية ، وإن كانت الحقيقة تحتوي على أكثر من ذلك ، فجامع الغالب على جمعية أحکام ظاهر الإنسانية الحقيقية وجامع الغالب على جمعية أحکام باطنها والجامع الثالث له الجمع بين الظهور والبطون في درجة اعتدالهما .

18 - وأما الأحكام المشار إليها : فأحكام الوجوب والإمكان ، فللواحد من الجامعين الظهور بالأحكام الوجوبية في مرتبة الإمكان بحسب الإمكان وهو الغالب على شؤونه حكم نسبة الظهور بصورة الإنسانية ، والآخر الظهور بأحكام الإمكان في حضرة الوجوب بحسب الوجوب ، والآخر في المقام البرزخي الأعلى النقطة الوسطية التي بها يتعين الطرفان ، وثمة من لا رتبة له على التعيين يشار إليها ، كالذات من حيث إطلاقها منه وبه يتعين الطرفان والمتوسط الجامع بينهما ، ولا يتقييد بمرتبة ولا نسبة ولا اسم ولا وصف ، ولا يتغنى أيضاً عنه شيء من ذلك وفيه يستهلك المراتب وأربابها ، كما به تظهر .

(1)

فك ختم الفص الأدمي

[1/1] وأما اختصاص هذه الكلمة الأدبية بحضور الألوهية، فذلك بسبب الاشتراك من أحدي الجمع، فكما أن الحضرة الألوهية المعبر عنها بالاسم الله تشتمل على خصائص الأسماء كلها وأحكامها التفصيلية ونسبها المتفرعة عنها أولاً والمت الهيئة الحكم إليها آخرأ ولا واسطة بينهما وبين الذات من الأسماء - كما هو الأمر في شأن غيرها من بيان غير الأسماء بالنسبة إليها أعني بالنسبة إلى الحضرة الإلهية - كذلك الإنسان، فإنه من حيث حقيقته ومرتبته لا واسطة بينه وبين الحق، لكون حقيقته عبارة عن البرزخية الجامعة بين أحكام الوجوب وأحكام الإمكان، فله الإحاطة بالطرفين.

[2/1] ولهذا الاعتبار قال رحمة الله فيه: إنه الإنسان الحادث الأزلية والنشأة الدائم الأبدية، فله الأولية والتقدم على الموجودات من هذا الوجه.

[3/1] وأما سر آخريته فمن حيث انتهاء الأحكام والآثار إليه واجتماعها ظاهراً وباطناً فيه، كأنها أولاً منه، وذلك أنه لما كان حكم شأن الحق الجامع للشؤون كلها وأحكامها دورياً وكان حكم ذلك الشأن ولوازمه من أمehات الشؤون أيضاً كذلك وهي الم عبر عنها بمفاتيح الغيب، ظهر سر الدور في أحوال الموجودات وأحكامها وذواتها، فالعقل والنفس من حيث حكمها بالأجسام وعلمها كالأفلاك المعنوية، ولما كانت الأفلاك ناتجة عنها وظاهرة منها، ظهرت بهذا الوصف الإحاطي والدور صورة ومعنى .

[4/1] ولما كانت العقول والآنفوس متفاوتة المراتب من حضرة

الحق بسبب كثرة الوسائل وقلتها وقلة أحکامها الكثرة في ذواتها وكثرتها ، تفاوتت الأفلاك في الحكم والإحاطة ، فأقربها نسبة إلى أشرف العقول أكثرها إحاطة وأقلها كثرة ، والأمر بالعكس فيما نزل عن درجة الأقرب - كما ترى لما أشرنا إليه - .

[1/5] ولما كان الأمر كذلك في عرصة العقل المنور والشهود المحقق ، اقتضى الأمر والسنّة الإلهية أن يكون وصول الإمداد إلى الموجودات وعود الحكم في الجناب الإلهي المشار إليه في الإخبارات الإلهية والتنبيهات النبوية والمشهود كشفاً وتحقيقاً ، وصولاً وعدواً دورياً .

[1/6] فالمدد الإلهي يتعين من مطلق الفيض الذاتي بالبرزخية المشار إليها ويصل إلى حضرة العقل الأول المكنى عنه بالقلم ثم باللوح ثم العرش ثم الكرسي ثم باقي الأفلاك - فلكاً بعد فلك - ثم يسري في العناصر ثم المولدات ويتنهى إلى الإنسان منصباً بجميع خواص كل ما مر عليه .

[1/7] فإن كان الإنسان المتهي إليه ذلك ممن سلك وعرج واتحد بالنفوس والعقول وتجاوزها بالمناسبة الأصلية الذاتية حتى اتحد ببرزخيته التي هي مرتبة الأصلية ، فإن المدد الواصل إليه بعد انتهائه في الكثرة إلى أقصى درجات الكثرة وصورتها ، يتصل بأحاديتها ، أعني أحدية تلك الكثرة إلى تلك البرزخية التي من جملة نعمتها الوحدانية التالية للأحدية ؛ فيتم الدائرة بالانتهاء إلى المقام الذي منه تعين الفيض الواصل إلى العقل .

[1/8] وهذا سر من لم يعرفه ولم يشهد له لم يعرف حقيقة قوله تعالى : **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾** [هود: 123].

[1/9] ومن هذا شأنه فهو الذي قيل فيه من حيث صورته العنصرية الآخريّة الجامعية : إنه خلق في أحسن تقويم ، ومن حيث حقيقته : إن أجره غير ممنون ، ومن لم يكن كذلك فهو المتهي إلى أسفل السافلين ، لبعده بكثرة عن أصله الذي هو المقام الوحداني الإلهي الأولي ، لأنه نزل من أعلى الرتب وهي البرزخية المذكورة إلى أقصى درجات الكثرة والانفعال

ووقف عندها ، بخلاف الكمل الذين تمت لهم الدائرة ، وإنهم وإن انحدروا ،
فهم مرتقون في انحدارهم ، كما قال بعض التراجمة في مدح نبينا ﷺ :

تخييرك الله من آدم فما زلت منحدراً ترقي

[1/10] والواقفون في أسفل السافلين ليسوا كذلك ، فأنهم لم يتجاوزوا نصف الدائرة ؛ فاعلم ذلك ، فهذا سر اختصاص آدم بالحضرة الإلهية وسبب أوليته من حيث المعنى وأخريته من حيث الصورة ، وجمعه بين الحقيقة الوحدانية التي هي محمد أحد أحكام الوجوب وبين الكثرة التي هي محمد أحد أحكام الإمكان ، واتهاء الأمر آخرأ إلى الوحدانية من حيث إنه : ما جاوز الحد انعكس إلى الضد .

[1/11] فتدبر ما سمعت فإنه من لباب المعرفة الإلهية والإنسانية ، فإنك إن عرفت ما ذكرنا لك ، عرفت مراتب الأسماء وتفاوت درجاتها وتفاوت درجات الموجودات من حيثها ، وعرفت سر قوله تعالى : «وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» [البقرة: 31] وإن سر الخلافة الجمع بين الوحدة والكثرة ، لكن على الوجه المذكور ؛ وعرفت سر الإمداد والاستمداد ، وعرفت سر ظهور المعلولات بصور عللها ، وعرفت سر قوله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»⁽¹⁾ . وإن تفاوت المدرك في الظهور والحكم لتفاوت الاستعدادات القابلة ، وعرفت غير ذلك مما يطول ذكره ؛ فتدبر ترشد إن شاء الله تعالى .

[سر تسمية الأنبياء بالكلمات]

[1/12] وأما سر تسمية الأنبياء بالكلمات ، وكذلك تسمية الحق سبحانه الأرواح بهذا الاسم - بالموجودات - فموقوف على معرفة كيفية

(1) رواه مسلم في صحيحه ، باب الوعيد الشديد .. ، حديث رقم (2612) [4/2017] ورواه ابن حبان ، ذكر الزجر عن قول المرء لأخيه .. ، حديث رقم (5710) [13/18] ورواه غيرهما .

الإيجاد والمادة التي منها وبها وفيها وقع الإيجاد، وهذا من أعظم العلوم وأغምها وأشرفها وبيانه يحتاج إلى فصل بسيط ليس هذا موضعه، على أنه قد ذكرت أصوله في تفسير الفاتحة وفي كتاب النفحات، وسأذكر هنا على سبيل التنبيه ما يحتمل هذا الإلماع.

[1/13] فأقول: قد كنى الحق سبحانه في الكتب المتنزلة عن التأثير الإيجادي بالقول، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْنَا لِشَعْرٍ إِذَا أَرْدَنَهُ...﴾ [النحل: 40].

[1/14] فاعلم أن فعل الحق إن كان ذاته بمعنى أن الفعل يليه لما يتوسط بين ذاته وبين المفعول إلا نسب معقولة يتميز بتعيينها الإطلاق الذاتي مما تعينت به، كان اسم ذلك الفعل كلاماً والظاهر به كلمة، وإن توسيط بين الفاعل الحق وبين ما يوجد، آلة وجودية أو صورة مظهرية بعينها ويستدعيها مرتبة المفعول التي هي محل إيقاع الفعل ومتزل نفوذ الاقتدار كان قوله، لأن التأثير الإلهي في كل مؤثر فيه إنما يصدر ويتquin بحسب مرتبة المفعول، وكذلك الآلة والمظهر الذي هو صورة الحقيقة التي من جهتها صدر ذلك الموجود.

الحروف الأصلية الإلهية

[1/15] وإذا عرفت هذا فاعلم أن الحروف الأصلية الإلهية عبارة عن تعقلات الحق الأشياء من حيث كينونتها في وحدانيته، ونظير ذلك التصور النفسياني الإنسان قبل تعينات صورها بعلمه في ذهنه، وهي تصورات مفردة خالية عن التركيب المعنوي والذهني والحسي، وهي المفاتيح الأول المعبر عنها بمفاتيح الغيب، وهي الأسماء الذاتية وأمهات الشؤون الأصلية التي الماهيات هي من لوازمهما، ونتائج التعقل تعريفاتها.

[حضره الارتسام]

[1/16] والتعقل الثاني تعقل الماهيات في عرصه العلم الذاتي من حيث الامتياز النسبي وهو حضره الارتسام الذي يشير إليه أكابر المحققين والمتألهين من الحكماء بأن الأشياء مرسمة في نفس الحق، والفرق بين الحكيم والمتحقق في هذه المسألة هو أن الارتسام عند المحقق وصف العلم من حيث امتيازه النسبي عن الذات، ليس هو وصف الذات من حيث هي ولا من حيث أن علمها عينها، فتعقل الماهية من حيث إفرازها عن لوازمهها في حضره العلم هي حرف غيبي معنوي، وتعقلها مع لوازمهها قبل انبساط الوجود المفاض على لوازمهها، هي كلمة غبية معنوية، وباعتبار تعقل تقدم اتصال الوجود بها قبل لوازمهها يكون حرفاً وجودياً، وباعتبار انبساط الوجود عليها وعلى لوازمهها الكلية تكون كلمة وجودية.

[1/17] وكما أن تركيب الكلمات في النسخة الإنسانية ينشأ من حرفين وينتهي إلى خمسة متصلة ومنفصلة؛ كذلك الأمر هناك. فنظير درجات التركيب هنا الأصول الخمسة المذكورة في مابعد، وللنفس الرحمناني السراية في هذه الأصول الخمس وأمهات مخارج الحروف الإنسانية أيضاً خمسة، وهي: باطن القلب ثم الصدر ثم الحلق ثم الحنك ثم الشفتان؛ وهي نظائر مراتب الأصول، وبباقي المخارج يتبعن بين كل اثنين من هذه الأمهات. فافهم.

[العقل الأول]

[1/18] ثم أقول: فأبسط الموجودات الذي هو العقل الأول له ضرب واحد من التركيب - لا غير - وهو أن له ماهية متصفه بالوجود، فله من أحکام الكثرة الإمكانية حكم واحد، وهو أنه في نفسه ممکن، وهو من حيث ما عدا هذا الاعتبار الواحد واجب بسيط، وكذلك شأن بقية العقول من هذا الوجه، لكن بسبب توسط العقل بينها وبين ذات الحق تزداد حكمأً

وأحكامًاً توجب تعقل كثرة ما في مرتبتها ، لكن ليست كثرة وجودية تفضي بأن يحكم عليها بالتركيب .

[19/1] وأما النقوس الفلكية : ففي ثالث مرتبة الوجود الواحد ، ثم يتنازل الأمر في التركيب إلى خمس مراتب ، فالذى يلي النقوس الأجسام البسيطة ، ثم المرتبة الخامسة الأجسام المركبة ، فهذه هي الأصول المشار إليها من قبل .

[20/1] وقد روعي هذا الترتيب الإيجادي في كل كلام إلهي ينزل : فحرف ، ثم كلمة ، ثم آية ، ثم سورة ، والكتاب جامعها .

[21/1] وأما الكتب ، فهي من حيث الأهميات أيضاً أربعة كالأجناس : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وجامعها القرآن .

[22/1] ولما كانت الحيازة للإنسان لجمعيته أحكام الوجوب الكلية والأحكام الإمكانية سمي كتاباً ، وتفاوت حيطة الكتب وما تضمنه يشهد ويوضح سر تفاوت الأمم المنزّلة هي عليها ، وسر الرسول المبلغ ما أنزل إليهم . فاعلم ذلك ؟ تعرف سر تسمية الأنبياء بالكلمات ، وكذلك سر تسمية الأرواح وال موجودات بها ؛ ولهذا الأصل فروع كثيرة : منها : ما ذكرته في التفسير . ومنها : ما ذكرته في مفتاح غيب الجمع وتفصيله ، ومنها : ما ذكرته في النفحات ؟ فمن أراد الإحاطة بأكثر أصول هذا العلم فليجمع إلى هذا الأصل ما تقدم ذكره يستشرف على علوم غزيرة غامضة شريفة جداً . والله المرشد والهادي .

(2)

فك ختم الفص الشيشي

[1/2] لما سبق ذكر سر الفص والحكمة والكلمة وسر الحروف والكلمات وسر اختصاص كلمة آدمية بنسبته إلى الحضرة الألوهية، لم يبق ما يجب التنبيه عليه بموجب الالتزام إلا بيان سر اختصاص كل كلمة بالصفة والنبي المذكور بعد آدم.

[2/2] فأقول؛ وأما الحكمة النفثية واحتياطها بالكلمة الشيشية: فمعرفة سرها موقوفة على استحضار مقدمة قد سبق الكلام فيها - مع وجوب التنبيه عليها هنا - وهو أن الحق لما ثبت أنه من حيث صرافة ذاته وإطلاقه لا يوصف بالمبدئية ولا أنه مصدر لشيء، وأن أول المراتب المتعلقة: التعين الجامع للتعيينات كلها، وأن له أحديّة الجمع وأنه خصيص بالإنسان الحقيقي الذي آدم صورته، وجب أن تكون المرتبة التي تليه مرتبة المصدرية الموصوفة بالفياضية والمقتضية للإيجاد؛ فلزم أن يكون فص الحكمة النفثية مخصوصة بالكلمة الشيشية.

[معنى لفظة شيث]

[3/2] لأن معنى لفظة شيث في الأصل عطاء الله ولأن النفي عبارة عن انفتاث للنفس الواحد وابنائه، وأنه عبارة عن الوجود المنبسط على الماهيات القابلة له والظاهرة به، وهذا الفيض إذا اعتبر من حيث مشرعه ومحتدمه كان واحداً ويسمى بهذا الاعتبار العطاء الذاتي ، لأنه صادر عن الحق بمقتضى ذاته لا موجب له سواء، وإذا اعتبر تعدد صور ذلك العطاء في القوابل وتنوعه بحسبها ، سمي عطاءاً أسمائياً هو فك ختم سر الترجمة .

[سر الختمية]

[4/2] ولما كان العطاء الأسمائي متعلق الاندراج في ضمن العطاء الذاتي لقبوله بالذات التعدد والظهور المتنوع في القوابل وبها ، وجب ذكر سر الختمية في هذا الفص ، لأن في المقام الإنساني تنختم الدائرة الوجودية وتتحدد الآخرية بالأولية .

[مراتب الختمية]

[5/2] وللمراتب الختمية كمال الحيطة والاستيعاب ، لأن لا آخريتها كمال الاستيعاب معنى وصورة وصفة وحكماً؛ وقد نبه شيخنا رضي الله عنه على ذلك بـإلماع لطيف وهو قوله في آخر هذا الفص : إن آخر مولود يولد في النوع الإنساني يكون على قدم شيش وأنه يولد توأمًا مع اخت له؛ فأخبر بعموم الحكم الدوري صورة ، كما هو الأمر في المعنى والصفة ، وعين الحكم وانتهاء مقدار العطاء في الماهيات والاستعدادات المتناهية القبول ، بخلاف القوابل التامة الاستعداد ، فإن قابلاتها غير متناهية ، فلها البقاء السرمدي .

[6/2] ومحب عدم صعق بعض الموجودات من الملائكة والأنساني ما ذكرناه من كمال الاستعداد القابل للفيض الذاتي على سهل الاستمرار ، ولمن هذا شأنه الرفعة عن مقام النفح الإسرافيلى ، فإن النفح لا يؤثر في من علا عنه ، بل في من نزل عن درجته .

[7/2] وها هنا علوم غريبة جداً ، تنبو عنها أكثر الأفهام ، قل من يطلع عليها من أهل الله ، أضربت عن التنبيه عليها لفطر غموضها ، وشكت الله على ما منح في الدنيا ﴿وَالْأَخْرَقَ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : 70]

(3)

فك ختم الفص النوحي

[1/3] اعلم أنه لما كان أول المراتب الإلهية التي بها ثبت أولية الحق ومبنيته مرتبة أحدي الجمع كما مر بيانيه، كانت صفة الفياضية والمصدريّة تليه على ما بُين؛ وكان أول القوابل لذلك الفيض الذاتي الإلهي عالم الأرواح وهي أتم الموجودات طهارة من الكثرة الإمكانية والتركيب والنقاء المكتسبة من الوسائل، وكانت نسبتها أيضاً من وحدانية الحق أتم من غيرها، فارتبطها بالجناح الحق إنما هو من هذا الوجه - لا غير - بهذا ما أدركت من الكمالات الإلهية شيئاً سوى ما استفادته من نسبة ارتباطها بحضورة الوحدانية وقبولها الفيض الوجودي غير منصبغ بأكثر أحكام الإمكانية والوسائل. ولهذا كان علمها مقصوراً على معرفة الحق من تجرده ونراحته عن الكثرة والتركيب - لتضمنها صفة الافتقار - فظهرت صفة التنزية وانصبغت به.

[صفة التنزية]

[2/3] ولما كان نوح عليه السلام أول المرسلين وأول أحكام الرسالة مطالبة الرسول للأمة بتوحيد الحق وتنزييه عن الشريك والمثل والمنازع، لزم أن يكون الغالب على حال نوح صفة التنزية؛ لأنه مبدأ ظهور الرسالة وأول قابل لحكمها، وأول مطالب للخلق بالتوحيد المشار إليه، فيه ظهرت أولية عالم الأرواح وصفتها القابلة أول الفيض الإلهي الوحداني والظاهرة بحكمه وصفته.

[3/3] ولهذا غالب عليه حال الغيرة والغضب على قومه لما شاهد

انعكافهم على عبادة ود وسوانع ويعوق ونسر حتى دعا عليهم بالهلاك بعد أن وصفهم بالظلم والنقائص ، كما فعلت الملائكة في حق آدم حيث ذموه ووصفوه بالنقائص ، فتداركهم الحق سبحانه بالتبكيت مع رعاية حسن مقاصدهم ، حيث كان الحامل لهم على ما ذكروه الغيرة على جناب الحق وكراهة أن يعصيه أحد من خلقه . فافهم هذا ؛ تعرف سر الحكمة السبوحية و اختصاصه بنوح عليه السلام .

(4)

فك ختم الفص الإدريسي

[4/1] أعلم أنه كما بینا ثبوت المناسبة بين الصفة السبوحية ونوح عليه السلام، كذلك إنما ذكر الشيخ رضي الله عنه إدريس بعد نوح، لاشتراك واقع بينهما، من حيث إن الصفة القدوسيّة تلي الصفة السبوحية في المعنى والمرتبة، فإن السبough هو المبرئ والمنزه عن أن يلم به النقص، والقدوس هو الظاهر المقدس عمّا يتورّه فيه من إمكان تطرق ما إليه يشينه بحيث تقدح في قدوسيته، والتنبية على هذا المقام من القرآن العزيز وارد في آيات شتى: مثل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] ونحو ذلك، وكذلك التنبية عليه وارد في الأحاديث والأدعية النبوية.

[4/2] ومن جملتها: أن النبي ﷺ سأله جبرائيل أيصلني ربك؟ قال جبرائيل: نعم! فقال النبي ﷺ: ما صلواته؟ قال: «سبough قدوس سبقت رحمتي غضبي»⁽¹⁾. فقرن القدس بالسبough، ففي القدوسيّة معنى يوهم تطرق وصف ناقص إلى ذلك الجناب، وإن لم يعلم الواصف وجه النقص في ذلك المقدس، ويعلمه من يعلم علو الموصوف به عن أن يلم به مثل ذلك.

[4/3] وأما سر اختصاص هذه الصفة بإدريس عليه السلام: فلاجل أن الكمال الذي حصل له إنما كان بطريق التقديس، وهو تروحنه وانسلاخه عن الكدورات الطبيعية والنقائص العارضة له من المزاج العنصري.

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (114) [42/1].
ورواه الديلمي في الفردوس، برقم (4663) [3/226].

[4/4] وأيضاً فإنه لما قيل فيه إنه رفع مكاناً علياً، والعلو - كما ذكر الشيخ رضي الله عنه - على قسمين: علو مكان وعلو مكانة، وأخبر الحق أنه تعالى مع كل شيء، والأشياء لا تخلو عن أحد العلوين، وجب من هذا أن يكون الحق منهاً عنهما نفياً للاشتراك. فأما تزهه عن علو المكان فواضح لعدم تحizه. وأما تزهه عن علو المكانة: فإن كل علي بمكانة فإنه يتقيد بها ، وإن علوه إنما يثبت بها ومن حيث هي - لا غير - ولهذا الاشتراك المتوهם قال سبحانه: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى : 1] بمعنى له متى توهم لأحد وأضيف إلى الحق بحسب معتقدهم فيه ، فالحق أعلى من ذلك.

[سر التقديس والعلو الحقيقى]

[4/5] والسر فيه: الحق في كل متعين غير متعين ، فكما تنتفي عنه الإشارة الحسية ، كذلك تنتفي عنه الإشارة العقلية ، فتقديس عما يتوهם فيه من الاشتراك بسبب المفهوم من المعنية وبسبب المفهوم من علو المكانة ، وكما لم يكن الحق مقيداً بمكانة مخصوصة يتقيد علوه من حيثها ويقتصر عليها ، كذلك كان مقدساً عن مفهوم الجمhour من العلوين ، فعلوه حيازته الكمال المستوعب كل وصف وعدم تزهه عما تقتضيه ذاته من حيث إحاطتها ، وارتسام كل وصف باسمة الكمال من حيث إضافة ذلك الوصف إليه . فاعلم ذلك تعرف سر التقديس وسر العلو الحقيقى اللاقى إضافته إلى الحق ، وتزهه عن العلوين المفهومين للجمhour المضافين إلى الغير .

(5)

فك ختم الفص الإبراهيمي

[5/1] والتبيه على سره إنما قرن الحكمة المهيمنة بالكلمة الإبراهيمية من أجل أن صفة التهيم تقتضي عدم الانحياز إلى جهة تعينها وعدم امتياز صاحبها بصفة مخصوصة تقيده، وهذا هو مقام الخلة الأولى الحاصلة من عدم ارتفاع الحجب، بخلاف الخلة الأخرى التي سالمع بسرها فيما بعد.

[5/2] فاما هذه الخلة الإبراهيمية: فلها أولية الظهور بالصفات الإلهية الشبوانية؛ بمعنى أنه بحقيقة كسى الذات بالصفات، ولهذه المناسبة ورد في الصحيح: «إن أول من يكسى من الخلق يوم القيمة إبراهيم»⁽¹⁾ عليه السلام. لأنـهـ الـجـزـاءـ الـوـفـاقـ،ـ وـلـهـ ظـاهـرـيـةـ الـبـرـزـخـيـةـ الـأـوـلـىـ،ـ وـهـوـ أـوـلـ منـ كـمـلـتـ بـهـ كـلـيـاتـ أـحـكـامـ الـوـجـوبـ فـيـ مـرـتـبـةـ الـإـمـكـانـ،ـ فـقـابـلـ كـلـ حـكـمـ كـلـيـ منـهـ بـقـابـلـيـةـ ظـهـرـ بـهـ إـثـرـ ذـلـكـ الـحـكـمـ الـكـلـيـ فـيـ الـوـجـودـ،ـ وـهـيـ الـكـلـمـاتـ الـتـيـ اـتـمـهـنـ،ـ فـجـيـءـ عـقـبـ إـتـمـاـمـهـ بـالـإـمـامـةـ عـلـىـ النـاسـ.

[5/3] وأما الخلة الأخرى: في الخصيصة بنبينا محمد ﷺ ولا

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كما بدأنا أول خلق نعيده..، حديث رقم (4463) [4/1766] ونصه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب النبي ﷺ فقال إنكم محشرون إلى الله حفاة غراة غرلاً ﴿كَمَا يَدْأَنَا أُولَئِكُنْ لَعْيَدُونَ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُلُّنَا فَنَعِيرُنَا﴾ [الأنباء: ١٠٤] ثم إن أول من يكسى يوم القيمة إبراهيم إلا إنه ي جاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدرى ما أحدثوا بعده فأقول كما قال العبد الصالح ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَنَّنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُو أَنَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دَمَتْ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] إلى قوله ﴿سَهِيْدُ﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقهم». وروى الحديث غير البخاري.

حجاب معها؛ لأن مقتضى الأولى مقابلة تعينات مخصوصة من تعينات الحق المعتبر عنها بالصفات وبقابليات ذاتية بها غيرية هي لوازم حقيقة القابل، بخلاف خلة المصطفى ﷺ، فإن المقابلة فيها واقعة بين صفات ظاهرية الحق وبين صفات باطنية، مع أحدي العين التي هي الهوية الموصوفة بالظهور والبطون؛ ولهذا كان النبي ﷺ أشبه الخلق بإبراهيم عليه السلام والمحيي لملته، لأن بالتحقيق بالهوية يحيى ويتعين الطرفان - وهما الظاهر والباطن - لأنه لا ظهور إلا عن بطون متقدم؛ فالاسم الباطن أول تعينات الهوية، فثبتت استنادهما إليها وتوقف تتحققهما عليها.

[4/5] وقد أخبر الخليل ونبينا عليهما السلام عن ذلك بلسان الرمز والإشارة؛ فورد الإخبار النبوى: إن الناس إذا التجؤوا إلى الخليل يوم القيامة أن يشفع لهم ويقولون: أنت خليل الله اشفع لنا، يقول لهم: «إنما كنت خليلاً من وراء وراء»⁽¹⁾، وأخبر نبينا ﷺ أيضاً: أن الخلق يلتجؤون إلى يوم القيمة حتى إبراهيم عليه السلام، وكان آخر ما عين لنفسه من المقامات التي منحه الحق إياها مقام الخلة، وذلك في آخر خطبته خطبها قبل موته بخمسة أيام وقال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس! إنه قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإنني أبرا إلى الله أن أتخذ أحداً منكم خليلاً: ولو كنت متخدنا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»⁽²⁾.

[5/5] إن «الله قد اتخاذني خليلاً - كما اتخاذ إبراهيم خليلاً - أوتيت البارحة مفاتيح خزائن الأرض والسماء»⁽³⁾. فكان ذلك تعريفاً منه بأكمل

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (195) [1/186] ورواه أبو يعلى في المسند، عن أبي هريرة برقم (6216) [11/79] ورواه غيرهما.

(2) روى نحوه مسلم في صحيحه، باب النهي عن بناء المساجد على القبور...، حديث رقم (532) [1/377] ورواه بلفظه ابن حبان في الصحيح، ذكر اتخاذ الله جل وعلا صفيه ﷺ خليلاً...، حديث رقم (6425) [14/334] ورواه غيرهما.

(3) روى نحوه القسم الأخير منه البخاري في صحيحه، حديث رقم (1279) [1/451] وكذلك مسلم في صحيحه، باب إثبات حوض نبينا ﷺ...، حديث رقم (2296) [4/1795] وروى نحوه غيرهما.

أحواله ومقاماته وسر ظهوره بحقيقة البرزخية تماماً، فإن البرزخية المذكورة وإن ثبت لها الجمعية، فإن الجمعية قد تحصل لمن يغلب عليه في جمعيته طرف الظهور وسر ظهوره ولم يغلب عليه في جمعيته طرف البطون، وقد تحصل الجمعية لمن لا يغلب عليه طرف على طرف أصلاً.

[5/6] واعلم أنني وإن كنت قد ألمعت بشيء من هذا في فك ختم الفص الأدمي، فهذا هو تمام الأمر وروح القضية، فأمعن النظر في ما ذكرته لك، وكرر التأمل تستشرف على أمور جليلة من جملتها: أنه لما قرن شيخنا رضي الله عنه في ذكر مناسبة كل صفة إلى نبي، وببدأ بالمرتبة الجامعة للصفات وهي حضرة الألوهية، وقرنها بأدم الذي له الكمال الأول في الحيطة والجمعية، وتلاه بالعطايا الذاتية والأسمائية التي لها الأولية في المصدرية، وأورد فيها بذكر الصفات التنزيهية المزيلة توهם الكشف المتعلقة في الأسماء من حيث تعقل من جمعها بذاته، وكذلك الكثرة الموصوف بها العطايا.

[5/7] ليعلم أن الأمر من حيث الحق أمر واحد لا كثرة فيه، وأن الكثرة المتعلقة في الأسماء والعطايا منشأة من القوابل وببدأ بذكر السبوحية ثم القدوسيّة لأمر بيانه، وجب أن يذكر بعد صفات التنزيه السلبية أحکام الصفات الثبوتية ومراتبها وأول مظاهرها الإنسانية لتكميل مرتبة المعرفة بالذات، فإن السلوب لا تفيיד معرفة تامة أصلاً.

[5/8] فكان الخليل عليه السلام أول مرآة ظهرت بها أحکام الصفات الإلهية الثبوتية وأول من حاز التخلق بها، وكان لنبينا ﷺ التحقق بها، والفرق بين التخلق والتحقق هو أن التخلق يحصل بالكسب والتعلم في التجلي بها، فيكون صاحب التخلق محلّاً لأحكامها وهدفاً لسهام آثارها؛ والتحقق بها لا يصح إلا بمناسبة ذاتية تقتضي بأن يكون المتتحقق بها مرآة للذات. والمرتبة الجامعة للصفات ترسم فيه جميع الأسماء والصفات، ارتساماً ذاتياً لا على سبيل المحاكاة للارسام الإلهي فيه،

أعني بصاحب التحقق يظهر وينفذ آثار الصفات والأسماء في المتخلقين بها وغيرهم من المجالي، الذين هم محال آثارها من الأناسي وغيرهم. فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

(6)

فأك ختم الفص الإسحاقى

1/6] أعلم أن شيخنا رضي الله عنه لم يلزم في هذا الكتاب مراعاة الترتيب الوجودي في شأن الأنبياء المذكورين وإن وقع كثير من ذلك مطابقاً للترتيب المشار إليه، بل إنما التزم التنبيه على المناسبة الشائنة بين النبي وبين الصفة التي قرنتها به، والإشارة إلى محتد ذوق ذلك النبي ومستنده من الحق، ومح ذلك فقد من الله بمعرهة ثبوت المناسبة الترتيسية الوجودية من أول الكتاب إلى هاهنا - كما سبقت الإشارة إلى جميع ذلك -. .

[عالم الخيال]

2/6] وأما هذا الفص الإسحاقى: فمحنته عالم الخيال الصحيح المطابق والمناسب للمعنى الذي يتجسد به وفيه؛ والسر في استناد مبدئية حال إسحاق عليه السلام إلى عالم المثال المقيد هو أنه: لاما كان أخ חن حكم الصفات السلب الكثرة عن وحدة الحق، كانت الموجودات الصادرة عن الحق من حيث الصفات السلبية الترتيسية أقربها نسبة إلى الوحدة وأبعدها من مرتبة الظهور، وهي الأرواح، بخلاف الصفات الشبوانية، فإنه يجب أن تكون الموجودات الصادرة عن الحق من حيثها أقرب نسبة إلى الظهور وأنتم تتحققوا به.

3/6] وقد يبينا أن أول حامل وظاهر بحكام الصفات الشبوانية التخليل عليه السلام، فلزم أن يظهر في حال ولده الذي هو الترتيسة حكم عالم الخيال وصفته، لأن عالم المثال المطلق مرتبته بين عالم الأرواح وعالم الأجسام؛ وقد ذكرت في كتاب النفحات وفي تفسير الفاتحة سر سفر التجلي الوجودي

الغيبى من غيب الهوية الإلهية طلباً لكمال الجلاء والاستجلاء؛ وأن أول منازله عالم المعانى ويليه عالم الأرواح وظهور الوجود فيه أتم منه في عالم المعانى، ويليه عالم المثال وهو المنزل الثالث وظهور الوجود فيه أتم منه في عالم الأرواح، ويليه عالم الحس وهو المنزل الرابع وفيه تم ظهور الوجود، ولهذا كان العرش الذى هو أول الصور المحسوسة والمحيط بها مقام الاستواء الرحمنى؛ فإن عنده تم ظهور التجلى الوجودى واستقر؛ فإن الرحمة نفس الوجود والرحمن الحق من كونه وجوداً، ولذلك لم يضف الاستواء إلى اسم آخر قط سواه - حيث ورد -.

[مراتب عالم الخيال]

[4/6] ثم أقول : ولعالم الخيال مرتبتان واسمان : مرتبة مقيدة تختص بالإنسان وبكل متخيل ويسمى باعتبار تقيده خيالاً، وانطباع المعانى والأرواح فيه قد يكون مطابقاً وقد يكون غير مطابق، وذلك بحسب صحة شكل الدماغ واحتلاله وانحراف المزاج واعتداله وقوة المصورة وضعفها ، وهذا العالم في مرتبة إطلاقه يسمى عالم المثال ، وكل ما يتجسد فيه يكون مطابقاً لا محالة ، فإذا صحت المطابقة في الخيال المقيد كان حقاً لشبهه بعالم المثال في حقيقة ما يتجسد فيه من حيث الصحة والمطابقة . فلهذا ترجم الشيخ رضي الله عنه هذا الفص بالحكمة الحقيقة . فاعلم ذلك .

[5/6] ثم أقول : وللحقيقة والمطابقة سر آخر خفي جداً ، من لم يطلع عليه لم يعلم سر الخيال المقيد وحقيقة وسر الرؤيا وسر العالم المثال المطلق وسبب صحة كل ما يتجسد فيه ومطابقته .

[6/6] فاعلم أن عالم المثال نسبته إلى صورة العالم الذي هو مظهر الاسم الظاهر نسبة ذهن الإنسان وخياله إلى صورته ، وروح صورة العالم من وجه مظهر الاسم الباطن ، ما المجد ثمما لاما لا صورة له من الأمور المعقوله هو الاسم الباطن والمدبر ، ولا نقص في العلم هناك ولا في القوة

التي القوة المصوره من الإنسان نسخة منها؛ فإن الحق ذو القوة المتين، فلا يتجسد هناك شيء إلا بحسب ما علم، ولا جهل يتطرق في ذلك العلم، فوجب المطابقة والصحة، وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى العقول والنفوس العالية.

[6/7] والأمر في الإنسان ليس كذلك، فإن قوته المصوره تابعة لنوريه روحه وما سبق اطلاعه عليه، فأملاه بذاته على قوته المصوره، فيأخذ في محاكاته، لكن بحسب جودة هيئة الدماغ واستقامة المزاج وانحرافه وخاصية المكان والزمان، بخلاف ما يتجسد في عالم المثال - كالاسم الباطن أولاً ثم العقول والنفوس ثانياً - غير أنه ينبغي لك أن تعلم نسبة خيالات الأناسي المقيدة إلى عالم المثال نسبة الجداول إلى النهر العظيم الذي منه تفرعت وظرفها متصل به، أعني طرف كل خيال من الجهة التي تلي عالم المثال متصل به.

[6/8] فصحة خيال الإنسان ورؤياء له عدة موجبات بعضها مزاجية وبعضها خارجة عن المزاج، فالمحختص منها بالمزاج: صحة هيئة الدماغ وما سبق ذكره، والخارج عن المزاج: بقاء حكم الاتصال بين خياله وبين جهة عالم المثال عن علم ومناسبة محققة تقتضي اتحاده به من إحدى جهتيه؛ وهذا كشف عالٌ قل من يشاهده.رأيته ودخلت بنفسي في بعض مظاهرها من خيال المقيد إلى عالم المثال من باب الاتصال المشار إليه، وانتهيت إلى آخره وخرجت منه إلى عالم الأرواح، ثم إلى فيحاء مطالع الأضواء؛ والحمد لله على ما أنعم.

[مراتب الناس]

[9/6] ثم ليعلم أن الناس في مراتبهم على أقسام مختلفة تنحصر في ثلاثة أقسام:

قسم نازل قد طبع على قلوبهم، فلا يتصل به من نفوسهم - أي

قلوبهم - شيءٌ مما هو منتقل في نفسه سابقاً أو متقدماً - إلا في النادر -
حال عارض سريع الزوال بطيء الإثبات.

وَقَسْمٌ يَحْصُلُ لِقُلُوبِهِمْ أَحِيَاً صَفَاءً وَفَرَاغاً عَنِ الشَّوَّاغِلِ وَاتِّصَالِ مِنْ
خِيَالِهِ بِعَالَمِ الْمِثَالِ الْمُطْلَقِ، فَكُلُّ مَا تَدْرِكَهُ نُفُوسُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِنَّهُ
يَنْعَكِسُ اِنْعَكَاساً شَعاعِيًّا إِلَى الْقَلْبِ، وَيَنْعَكِسُ مِنْ الْقَلْبِ إِلَى الدِّمَاغِ فَيَنْطِبَعُ
فِيهِ، فَإِنْ وُجِدَ فِي مَا يَرَى إِثْرَ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَلَلْقَوْةُ الْمُصْوَرَةُ فِي ذَلِكَ
مَدْخُلُ الْآلَةِ مِنَ الْمَزَاجِ وَمَا ذَكَرْنَا، وَإِنْ خَلَتِ الرُّؤْيَا عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ
وَكَانَ هَيَّةُ الدِّمَاغِ صَحِيحَةً وَالْمَزَاجُ مُسْتَقِيمًا كَانَتِ الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَكَانَتِ فِي
الْغَالِبِ لَا تَعْبِيرُ لَهَا، لِأَنَّ الْعَكْسَ عَكْسٌ ظَاهِرٌ بِصُورَةِ الْأَصْلِ، وَهَذَا هُوَ
رُؤْيَا أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[10] وهذا هو السبب في عدم تأويل الخليل عليه السلام رؤياه وأخذ بظاهرها ، ومن صار قلبه مستوى الحق لا ينطبع في قلبه غالباً أمر خارج ، بل من قلبه يكون المنبع والانطباع الأول في الدماغ؛ ولما اعتاد الخليل عليه السلام الحالة الأولى وشاء الحق أن ينقله إلى مقام من وسع قلبه الحق . كان انطباع ما انبعث من قلبه الإلهي إلى دماغه انطباعاً واحداً فلم يظهر بصورة الأصل ، فاحتاج إلى التأويل المعرّب عن الأمر ، المراد بذلك التصوير على نحو تعينه في العالم العلوي وذوات العقول والنفوس تعيناً روحاً أو على نحو انبعاثه من القلب المتوحد الكثرة بصفة أحديّة الجمع .

[11] فاعلم ذلك وامعن النظر فيه ، فإن هذا الفصل يتضمن علوماً خفية يعلم منها تفاوت مراتب النفوس ودرجاتها وشعب إدراكاتها السقيمة والصحيحة ، ويعلم الفرق بين الخيال المقيد والمثال المطلق ويعلم نسبة كل واحد منها إلى الآخر وإلى الحق ، فإن كل خيال مقيد هو حكم من أحكام الاسم الباطن تجسد في عالم المثال المطلق تجسداً صحيحاً لصحة العلم والقوى المحاكية ، وتتجسد في كل خيال مقيد ، هذا بحسب القوة

المصورة وبحسب المحل وبحسب أحوال المدرك والغالب عليه من الصفات زمان الإدراك، ويعلم أن الرؤيا التي لا تأويل لها ما أوجبه، وأن الرؤيا التي تحتاج إلى التأويل تكون لأنزل الطوائف وتكون لأكمل الخلق، بخلاف التي لا تأويل لها، فإنها حال المتوسطين ويعلم غير ذلك مما يطول ذكره مما نبهت عليه في الفصل وما أجملت ذكره.

(7)

فك ختم الفص الإسماعيلي

[7/1] اعلم أن متعلق هذا الفص ومرجعه إلى صفتين: صفة العلو وصفة الرضا، ومحنته من الجناب الإلهي نسبتان: الوحدة الذاتية والجمعية الأسمائية؛ فأما سر اختصاص إسماعيل عليه السلام بالعلو: فهو من وجه بالنسبة إلى بقية أولاد الخليل عليه السلام من أجل أنه كان كالوعاء لسر الكمال المحمدي الذي نسبته إلى ذات الحق أتم، كما أن إسحاق عليه السلام وعاء لأسرار الأسماء التي كان الأنبياء مظاهرها.

[7/2] والإشارة إلى ذلك من القرآن العزيز قوله تعالى في سورة العنكبوت من قصة الخليل عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْثُبُوتَ وَالْكِتَبَ﴾ [العنكبوت: 27] وكلنبي هو مظهر اسم من الأسماء، والكتاب هاهنا الأمر الجامع للشريائع، وانفرد إسماعيل بنبنيا عليهما السلام الجامع لخواص الأسماء بشرعية جامعة لأحكام الشريائع، وهذا هو الموجب لقول الشيخ رضي الله عنه في أول الفص: اعلم أن مسمى الله أحدى بالذات كل بالأسماء، وذكر أن أحديته مجموع كله بالقوءة.

[7/3] وقال رضي الله عنه أيضاً في مختصر الفصوص كلمات أذكرها بعينها هنا، تعين أن مقصوده الأصلي في تأسيس هذا الفص ما ذكره؛ وليرعلم أنه لو لا أن الله سبحانه أنعم بمشاركتي الشيخ رضي الله عنه في أصل الذوق ومحنته لم يكن معرفة مقصوده من فحوى كلامه، لكن متى حصل الاطلاع على أصل الذوق ومشرعه، عرف المقصود من فحوى كلامه، فلهذا اخترت ذكر تلك الكلمات ثم أردفها ببيان تتمات أسرار هذا

الفص المتضمن فك ختامه، والكلمات التي ذكرها في مختصر هذا الفص ولم نزد عليها من هذه.

[7/4] قال رضي الله عنه : وجود العالم الذي لم يكن ثم كان ، يستدعي من موجده نسبةً كثيرة في موجده أو اسمًا ما شئت فقل ، فلا بد من ذلك وبالمجموع يكون وجود العالم فالعالم موجود عن أحدي الذات منسوب إليها أحدي الكثرة من حيث الأسماء لأن حقائق العالم تطلب ذلك منه . ثم العالم إن لم يكن ممكناً فما هو قابل للوجود ، مما وجد العالم إلا عن أمرين : عن اقتدار إلهي منسوب إليه ما ذكرناه من كثرة النسب ، وعن قبول ، فإن المحال لا يقبل التكوين ، لهذا قال تعالى عند قوله : كن فيكون ، فنسب التكوين إلى العالم من حيث قبوله . هذا نص كلامه رضي الله عنه .

[7/5] ثم أقول : ولما كان الخليل عليه السلام حاملاً للصفات الشبوانية التي من حيثها تكمل صورة الإيجاد ، صحت له نسبة خاصة إلى الذات من حيث صفة الاقتدار ، وكان إسماعيل عليه السلام مثال القابلية العالم من كونه محلاً لنفوذ الاقتدار فيه ، ولهذا : ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيَا﴾ [مريم : 55] للمواطاة بأن يظهر فيه وبه أحکام القدرة .

[7/6] ولما كان العالم من حيث قابليته لما ينطبع ويحل فيه كالبيت ، كما أشار إليه في أمر وجود العالم وال الموجودات بقوله : ﴿وَأَطْوُرُ ۝ وَكَتِبُ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ۝ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ﴾ [الطور : 1 - 4] فالطور مرتبة العالم من حيث حقيقته الثابتة وإمكانه . والكتاب المسطور الممكنات الظاهرة في صفحة الوجود الذي هو الرق المنشور ، لذلك اقتضت حكمته المحاكاة المظهرية أن يكون الخليل عليه السلام باني الكعبة والمعاون له فيه إسماعيل عليه السلام ، فالكعبة التي هي أول بيت وضع للناس نظير حقيقة العالم القابلة للإيجاد الأول من الموجد من حيث صفة الاقتدار التي العقل الأول صورته .

[7/7] ذكر شيخنا رضي الله عنه جواباً عن الذين سألوه عن حقيقة

العقل الأول وكونه مم خلق، فقال: خلق من صفة القدرة لا من صفة غيرها، ولهذا سمي بالقلم، لأن القلم مضاف إلى اليد، واليد صورة القدرة، فالخليل من هذا الوجه مظهر العقل الأول الذي هو أول الأسباب الوجودية الإيجادية، والشرط في الإقامة بيت الوجود المتأسس على مرتبة الإمكان، وإسماعيل مظهر النفس الذي هو اللوح من حيث إنه محل الكتابة الإيجادية التفصيلية.

[7/8] وقد نطق الخليل على ما حكاه لنا الحق في كتابه يدل على ما ذكرناه عند من اطلع على أسرار القرآن وبطونه وحدوده ومظلقاته، وذلك قوله بـلسان العقل الأول والنفس: وإنذيرفع إبراهيم القواعد من البيت - إشارة إلى وجود العالم - وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا وأجعلنا مسلمين لك مواتيين لما ترده من التصرف فيما وينا في عالمك لك - ومن ذريتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم - يعني في ذريته - ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذِلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 129].

[9/7] وأخبر سبحانه عن هذه الترجمة العقلية والنفسية ثم الإبراهيمية في موضع آخر من كلامه فقال: ﴿وَلَذِكْرِي قَالَ إِنِّيهِمْ رَبِّي أَجْعَلْتَ هَذَا بَلَدًا﴾ [آل عمران: 126] (يعني هذا العالم) ﴿أَمَّا إِنَّمَا﴾ (يريد من العدم) ﴿وَاجْبَنَّبِي وَبَيْنَ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] (يعني الصور الطبيعية، والبنون هنا والذرية في الآية الأولى النقوس الجزئية) ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ (يعني الصور الطبيعية المزاجية) ﴿أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36] حتى استهلكت قواهم وصفاتهم الروحانية تحت قهر القوى الطبيعية كما هو حال أكثر الناس، فإنه لا يشهد فيهم من الصفات الروحانية والخواص الحقيقة الإنسانية شيئاً، كما أخبر الحق بأنهم كالأنعام بل هم أضل من الحيوانات.

[10/7] وفي موضع آخر رجع الحجارة عليهم فجعل رتبتهم أنزل من رتبة الجمادات؛ وكذلك ورد في الحديث الثابت عن النبي ﷺ أنه

خرج ذات يوم فسمع عمر يحلف بأبيه، فقال: «لا تحلفوا بآبائكم، فوالذي نفسي بيده لما يدهدهه يجعل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية»⁽¹⁾. فهذا معنى قوله: «إِنَّمَا أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَنَّ تَعْنِي» [إبراهيم: 36] بلسان إشارة باطن القرآن، لا بلسان التفسير المعهود. ثم قال: «فَنَّ تَعْنِي» [إبراهيم: 36] في الطهارة وتحصيل الكمال حال تدبير بدنه، فاستهلكت سلطنة طبيعته تحت أحكام عقله بتوفيق الله، ثم بتزكية من أرسل إليه منهم، المشار إليه في الآية الأولى: فإنه مني، لأنني وإن لم يكن لي طبيعة أقهرها أو تقهري، لكن اعنتي بي الحق فتلاشت أحكام إمكاني تحت أحكام وجوبى.

[11/7] وأما المناسك: فمظاهر النقوس من الصور المثالية والصور الحسية المخصوصة بالملائكة والأنبياء والأولياء.

[12/7] وأما التوبة: فالرجوع في كل نفس بصفة الافتقار إلى الحق ليأخذ من فيضه سبحانه ما يمد به من دونه.

[13/7] وأما الوادي: الذي لا زرع فيه فهو عالم الكون والفساد - فإن له الفقر التام - إذ محل الزرع الحقيقي هو ما يقتضي إبراز ما لا وجود له إلى الوجود، وعالم الكون والفساد ليس كذلك، لأنه مفتقر بعضه إلى بعض بعد افتقاره إلى إيصال المدد إليه من العالم العلوي، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ وَمَا تُوعَدُونَ» [الذاريات: 22].

[14/7] قوله: «عِنْدَ بَيْنَكُمُ الْمُحَرَّمُ» [إبراهيم: 37] [إشارة إلى قلب الإنسان الحقيقي الذي وسع الحق واختص بأن يكون مستوى لذات الحق وجميع أسمائه دون غيره] «رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» [إبراهيم: 37] (أي ليديموا التوجه بالافتقار إليك وتكون أنت وجهتهم) «فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهُوِي

(1) لم أجده بلغظه ورواه البخاري بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم» باب أيام الجاهلية، حديث رقم 6272 (6/2450) ورواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحلف بغير الله، حديث رقم (1646) [3/1267] ورواه غيرهما.

إِلَيْهِمْ ﴿إِبْرَاهِيمَ: 37﴾ (إشارة إلى الأرواح المنزلة على الكمل من الأنبياء والأولياء ومن يدانيهم) «وَأَرْزُقْهُم مِّنَ الْثَّمَرَاتِ» [إِبْرَاهِيمَ: 37] (يريد الإلقاءات الروحانية والعلوم اللدنية) «لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» [إِبْرَاهِيمَ: 37] - ظاهر - .

[15/7] قوله: «رَبَّا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي» [إِبْرَاهِيمَ: 38] (أي ما تقتضيه استعداداتنا الغير المجنولة من الأمور التي لم تتعين لنا) «وَمَا تُعْلِنُ» [إِبْرَاهِيمَ: 38] (أي وما حصل وظهر لنا ومنا بالفعل) «وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» [إِبْرَاهِيمَ: 38] يريد مرتب التأثير والتاثير الظاهرين بين أحكام الوجوب والإمكان، بمعنى أنه يعلم استعدادات صور العالم العلوي وأهله، وكذلك عالم السفلي وأهله، ولهذا أفرد ولم يقل السموات والأرضين .

[16/7] ثم قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» [إِبْرَاهِيمَ: 39] وهمما العقل الثاني والنفس .

[17/7] فإن قيل: فما نسبة يعقوب عليه السلام فإنه قد ذكر في الآية حيث قال: «وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِّيَتِهِ الْبُشْرَةَ وَالْكِتَابَ» [العنكبوت: 27]؟

[18/7] فأقول، هو نظير الفلك، لأنه صدر عن العقل عقل ونفس وفلك، وكما تعين في الفلك معقولية البروج الإثنان عشر، كذلك كان ليعقوب إثنا عشر ولداً .

[19/7] وقال في الآية الأخرى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ» [البقرة: 130] أي جهلها وجهل شرفها ومرتبتها ، فإنها في النفس بالقوة وبتحصيل الاستكمال تظهر بالفعل ، فملة العقل الأول الجمع لمعاني صفات الحق كلها ، وملة إبراهيم الظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية تماماً ، كما قال سبحانه: «فَآتَمُهُنَّ» [البقرة: 130]

[124] فظهر بالإمامية، كما كانت الإمامة الأولى للعقل الأول لكونه تلقى بكمال قابليته ما ذكر، ولنبينا ﷺ وبختيمته الجمع بين ملة العقل الأول التي انتهى إليها وملة إبراهيم عليه السلام، فكان مرآة لجميع الصفات والأخلاق الإلهية المعنوية ومظاهرها ومصارفها كلها؛ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأنتم مكارم الأخلاق». والإتمام إنما يكون بالجمع بين معانيها وصورها حتى أنه بالمصارف أظهر للصفات المذمومة كملاط صارت بها محمودة.

[20/7] وأما ما يختص الكعبة من هذه الآية وإبراهيم بلسان المطلع: فإن الكعبة بيت صفة الربوبية بالأعتبارين: اعتبار مغايرة الاسم المسمى، واعتبار عدم مغايرته له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قرיש: 3] وكذلك صار مقام نفس بانيه الذي هو الخليل السماء السابعة، فإن النبي ﷺ أخبر أن مقامه هناك وأنه مسند ظهره إلى البيت المعمور، وأنه للبيت باباً، وأنه يدخل كل يوم سبعون ألف ملك من باب ويخرجون من باب آخر لا يعودون إليه أبداً، ونظير البيت المعمور من الإنسان من جهة بعض صفاته قلبه الصوري، والملائكة أنفاسه يدخل لعبدية القلب الحقيقي وترويج مظهره الذي هو القلب الصوري ويخرج بصفة أخرى، فهي في دخولها باردة وفي خروجها حارة ولا يعود إليه.

[21/7] وأشار ﷺ في الصحيح أيضاً في غير موضع إلى ما يستدل به للبيب أن حضرة اسم رب السماء السابعة، فمن ذلك ما ذكره في حديث القيامة: إن السموات تطوى وأنه كل ما طويت سماء نزلت ملائكتها واصطفت صفاً واحداً، وأن الخلق يأتونهم فيسألونهم يقولون لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، هو آتٍ. فإذا طويت السماء السابعة ونزلت ملائكتها وهم أعظم وأكثر عدداً من ملائكة باقي السموات المسطوية، فيأتيهم الخلق سائلين ويقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: نعم، سبحانه ربنا»⁽¹⁾. فقولهم:

(1) روى نحوه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (8699) [4/613] والطبراني في الأحاديث الطوال برقم (36) [1/266] وروى نحوه غيرهما.

سبحان ربنا، هو من أجل ما أسلفنا لك من أن الاسم من وجه عين المسمى ومن وجه غير المسمى.

[7/22] فالبيت المعمور محل نظر الحق ومسمى الرب، كما أن العرش مستوى اسم الرحمن، وأن الكرسي مستوى اسم الرحيم؛ والسماء السادسة مستوى الاسم العليم، والخامسة مستوى الاسم القهار، والرابعة مستوى الاسم المحيي، والثالثة مستوى الاسم المصور، والثانية مستوى الاسم الباريء والسماء الأولى مستوى الاسم الخالق. وأما قلب الإنسان الكامل الحقيقى فهو مستوى الاسم الله الذي هو للذات، فلهذا أشار إليه: بوسعني⁽¹⁾.

[7/23] ولما كان الحق من حيث أحديته الذاتية لا ينضاف إليه اسم، وكانت الكعبة مظهر الاسم الرب، فيجب باعتبار أن الاسم عين المسمى أن لا يكون عند الكعبة زرع، لأنها لزرع ها هنا، كالاعتبارات والنسب والصفات الإضافية هناك، أعني بالنسبة إلى وحدة الذات التي لها الاعتبار المسقط للاعتبارات كلها، فحكم المناسبة المظهرية يقتضي ما ذكرنا من أنه لا يكون عند الكعبة زرع أصلاً.

[7/24] وكما أن أول لازم متعين من الذات هو علم الحق من حيث امتيازه النسبي - لا من حيث إن علمه عين ذاته، ولا من حيث إنه صفة زائدة على الذات - وهذا التعيين العلمي هو تعين جامع للتعيينات كلها المعتبر عنها بالأسماء والأعيان، فالأشياء مرتبطة فيها، أعني في هذه النسبة العلمية، وتعلق بالمعلومات بحسب ما هي المعلومات عليه في نفسها.

[7/25] كذلك أول ما تعين عند محل الكعبة ماء زرمذ الذي هو مظهر العلم، وكان سبب تعينه كمال الطلب والافتقار، اللذين صار المتصرف بهما محلاً لنفوذ الاقتدار الإلهي الذي القلم صورته، ظهر بالقبول والاقتدار،

(1) ونص الحديث كاملاً: «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». أورده العجلوني في كشف الغماء، حديث رقم (2256) [2/255].

وكان هاجر مظهر القابلية وهي اللوح المحفوظ، يعني أكتب علمي في خلقي إلى يوم القيمة ليس مطلق قابلية المرتبة الإمكانية.

[26] وأما سر كون هاجر مملوكة: فهو من أجل أن القلم الأعلى من حيث تقدسه عن أحكام الكثرة والإمكان بحيث لا يتعقل فيه من أحكام الإمكان إلا حكم واحد، وهو كونه في نفسه ممكناً وأنه من حيث ما عدا هذا الاعتبار واجب باعتبار وجهه الذي يلي ربه، بخلاف اللوح المحفوظ الذي قلنا إن هاجر من وجه مظهره، فإنه محكوم للقلم بتمليك الحق إياه حيث جعله محلاً للتأثير فيه، فصار محكوماً لمحكوم. فالحرية للقلم مع ثبوت محكوميته لربه والمملوكة للوح؛ فوجب أن تكون هاجر مملوكة لما ذكرناه فافهم.

[27] وأما قول النبي ﷺ: «ماء زمزم لما شرب»⁽¹⁾. له وقوله أيضاً: «إنه طعام طعم وشفاء سقم»⁽²⁾. ففيه سرّان عظيمان؛ أما سر ماء زمزم لما شرب له: فذلك من أجل أن أكثر علوم الناس بالله هي ظنون ليست علوماً محققة، ولذلك قال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»⁽³⁾.

[28] وأما سر كونه طعام طعم وشفاء سقم: فهو في حق من اطلع على سر القدر وتحقق بمعرفة تبعية القلم للعلم، وأنه واجب الواقع، فيفرح بوقوع الملائم ويريح نفسه أيضاً من انتظار ما يعلم أنه لم يقدر وقوعه

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أول كتاب المتناسك، حديث رقم (1739) [1/646] ورواه ابن ماجه، باب الشرب من زمزم، حديث رقم (3062) [1018/2] ورواوه غيرهما.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب سقاية الحاج والشرب منها ومن ماء زمزم، حديث رقم (9441) [5/147] ورواه عبد الرزاق في المصنف بتتب زمزم . . ، حديث رقم (9116) [115/5] ورواوه غيرهما.

(3) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله جل وعلا . . ، حديث رقم (633) [2/401] ورواه الدارمي في سننه، باب حسن الظن بالله تعالى، حديث رقم (2731) [2/395] ورواوه غيرهما.

وَلَا يَحْزُنْ بِأَطْنَهُ مِنَ الْوَاقِعِ غَيْرِ الْمَلَائِمِ وَلَا يَعْتَرِضُ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَنْهَاهَا﴾ [الحديد: 22] وَقَوْلُهُ: ﴿لَكِتَابًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَنَّكُمْ﴾ [الحديد: 23] وَقَوْلُ أَنْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَا قَالَ لَهُ زَمَانٌ خَدَمَهُ إِيَّاهُ مَدَةً عَشْرَ سَنِينَ لِشَيْءٍ فَعَلَتْهُ لَمْ فَعَلْهُ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ نَفَعَلْهُ لَمْ تَفَعَلْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: لَوْ قَدِرْ لِكَانَ⁽¹⁾. فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

[29/7] وَأَمَّا سُرُّ ﴿يُجَنِّي إِلَيْهِ شَرَّتْ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57] فَهُوَ صُورَةٌ تَبَعِيَّةُ الْعِلْمِ لِلْمَعْلُومِ وَأَخْذُ الْعَالَمِ الْعِلْمَ بِمِنْهُ، وَكَذَلِكَ تَعْنِي الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ مِنَ الْقَوَابِلِ وَبِهَا تَحْقِيقُ إِضَافَةُ الْآثَارِ إِلَىِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُهَا، وَهَذَا السُّرُّ مُحْجُوبٌ عَنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، فَلَذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 37].

[30/7] وَاللَّهُ لَقَدْ ظَهَرَ لِي يَوْمِي هَذَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَسْرَارِ مَا لَوْ شَرَعْتُ فِي تَفْصِيلِ كُلِّيَّاتِهِ لَمَا وَفَتْ بِبِيَانِهِ مَجَلَّدَاتٌ كَثِيرَةٌ، فَاعْرَفْ مَا أَسْتَسْتَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الْأَسْرَارِ تَسْتَشِرُ فِي عِلْمٍ جَمِيْهُ مِنْ جَمِلَتِهِ - بَعْدَ غُورٍ - شِيخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَيْفَ شَرَعَ فِي أَوَّلِ الْفُصُولِ بِذِكْرِ الْوَحْدَةِ الْذَّاتِيَّةِ وَالْجَمِيعَةِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَذِكْرِ مَعْنَىِ الْإِيجَادِ وَتَوْقِفِهِ بَعْدِ الْعِلْمِ عَلَىِ الْقَبُولِ وَالْإِقْتَدَارِ، هَذَا إِلَىِ غَيْرِ ذَلِكَ مَا لَا يَكُادُ يَنْحَصِرُ مِنَ الْعِلْمِ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَىِ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ.

(1) رواه بقسمه الأول الطبراني في الأوسط، برقم (9220) [9/91] ورواه بقسمه الأخير وهو [لو قضى لكأن أو لو قدر لكأن] ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر المدة التي خدم فيها أنس رسول الله، حديث رقم (7179) [16/145].

(8)

فك ختم الفص اليعقوبي

[1/8] اعلم أن إقران الشيخ رضي الله عنه هذا الفص بالصفة الروحية وبناء الكلام فيه على ذكر الدين وأحكامه أسرار عظيمة ما لم تعلم لم تفهم مقصوده مما ذكره؛ فالسر الوارد الجامع بين الصفة الروحية والدين هو التدبير وهو على قسمين: ذاتي وكسيبي تعملي، والنسخة الإنسانية مشتملة على التدبيرين وبهما بقاء الإنسان وصلاح حاله عاجلاً وآجلاً؛ فالتدبير الذاتي هو كتدبير الطبيعة المزاجية بموجب ما يشتمل عليه من القوى الذاتية والقوى المستفادة من العالم العلوي الحاصلة في طبيعة مزاج الإنسان، فإنها أيضاً فائضة من الفيض دون تعلم، كما هو قبول الطبيعة المزاجية لها وتصرفها الذاتي بذاتها وبموجب ما قبلته من تلك الآثار العلوية دون تعلم.

[2/8] والتدبير الآخر تدبير الروح وهو على قسمين: تدبيره العقلي طلباً للاستكمال والتخلق بأخلاق الله والتجلّي بصفاته وقصد التشبه بجنابه - دون التهمم بأحوال المزاج وتدفق النظر في مراعاة مصالحه - والقسم الآخر من التدبير للبدن والنظر لمصالحه، وهو تدبير جامع بين التدبيرين: الروحي والطبيعي؛ فإن التدبير للبدن والنظر في مصالحه تدبير يتوقع منه البقاء على الوجه الأصلح ويتضمن أيضاً بالنسبة إلى بعض النقوس أن يكون هذا التدبير والتهمم لطلب البقاء على الوجه الأصلح مقصوداً بعينه، بمعنى أنه الغاية، بل يهتم بذلك ويراعيه لأمر آخر ومطلب أعلى منه، وهو التخلق والتحلّي والتتشبه ونحو ذلك كما مر.

[3/8] ولا شك أن هذا التدبير مخالف للتداير الأول ولتدبير من لا

يعتقد بقاء النفوس ولا يعتقد المعاد الروحاني والجسماني المحقق الذي جاءت به الشرائع؛ فإن من هذا شأنه يهتم من حيث نفسه تدبير المزاج ومراعاته لعينه، لا لأمر آخر وراءه.

[4/8] والسر الآخر في إقراران الصفة الروحية بيعقوب عليه السلام هو ما أشرت إليه فيما قبل من أن يعقوب عليه السلام كالمظهر والمثال للفلك الأول المسمى بالعرش، فهو أول صورة جسمية دبرها روح، فناسب ذكر الصفة الروحية ها هنا وأقرانها بيعقوب عليه السلام.

[5/8] ثم أقول : وهكذا هو أمر الدين ، فالدين ديننا : عقلي وشرعى - كما ذكره الشيخ رضي الله عنه - ولكل منهما معنيان : أحدهما؛ الطاعة والانقياد، كما قال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ» [آل عمران : 19] والانقياد والطاعة على قسمين : ظاهر وباطن ، وكل واحد من القسمين ينقسم إلى قسمين : انقياد وطاعة بالطبع والذات ، وانقياد وطاعة بتعمل .

والمعنى الآخر الإِجزاء ويترتب على ذلك من وجهين : ذاتي أيضاً وإرادى ، فالذاتي يكون بالعدل والموازنة ومعرفته من أجل المعرف ، والإرادى يظهر على وجه يظن أن فيه مزيداً على الموازنة ، وليس الأمر كذلك .

[6/8] وتدبير الدين أيضاً على وجهين : أحدهما؛ سياسة المتضمنة حفظ مصلحة العالم في الحالة الراهنة عموماً وخصوصاً ، وإليه الإشارة بقولي : عاجلاً؛ والتدبير الآخر هو النظر في أمر المعاد وعواقب الأمور .

[7/8] وإذا صح هذا فأقول : كل ما ذكر الشيخ رضي الله عنه من أسرار الأنبياء ومحتد أحوالهم من أول الكتاب إلى هنا راعى فيه التنبيه على سر أولية كل مرتبة من مراتبهم ، ولقد نبهنا على ذلك فلا يغفل عنه المتأمل لهذا الكلام؛ فحق لنا بعد أن نبهنا على سر الصفة الروحية واحتياطها من حيث الإِضافة بيعقوب عليه السلام وأقران ذلك بالدين أن نبه على أصل المجازاة وبما يلائم وبما لا يلائم محتدتها .

[8/8] فنقول: اعلم أن المجازاة الأولى الكلية تعينت باعتبار الرحمة العامة الإيجادية التي وسعت كل شيء بمطلق قابلية الممكناًت المخلوقة، وقيامها مقام المرايا لظهور الوجود فيها، وظهور آثاره وتنوعاته ظهوراته بها، ومن حيث إنها لما كانت شرطاً في ظهور أحكام الأسماء وتعييناتها - كما مر - عوضت بالتجلي الوجودي الذاتي الذي ظهر به عينها لها ونفذ حكم بعضها في البعض، فظهر بذلك أيضاً شرف بعضها على البعض بمزيد الاستعداد وقبول الوجود على وجه أتم ووضوح حجة الحق على القوابل الناقصة وال موجودات الموصوفة بالشقاء، إن ذلك لم يوجبه الحق عليها من حيث هو، بل ذلك منها لا من سواها. والذي للحق إظهارها بالتجلي الوجودي على نحو ما علمها، وهذا السر هو مفتاح سر القضاء والقدر أيضاً. فاعلم ذلك.

[9/8] فهذا أصل المجازاة بالموافقة، وأما أصل المجازاة بما لا يوافق: فذلك راجع إلى القيود والتغيير العارض للتجلي الوجودي من القوابل وحسن المواتاة لما يراد من القابل وعدمه، فالتكليفات من مقابلة تلك التقييدات الغير المرضية، ففي أي قابل تقل القيود والتغيرات في التجلي المقبول وظهرت فيه مواتاة مرضية، كان تكليفه أقل وكان ما لا مندوبة عنه من التقييدات مما هو ضروري الوقوع معفواً عنه ومغفورة لصاحبه ومستهلك الحكم في جنب باقي الصفات والأحكام التي ظهر القابل بها على الوجه المراد.

[10/8] فافهم هذا فإنه من أغمض العلوم، ومن علم سره علم سر الوجوب والتكليف وسر الإباحة والتقييد المسمى بالمحرم والحلال المطلق، والعفو والمغفرة، وسبب الشقاء والسعادة والرضا الحق وسخطه وسر عدم تكليف الصغار من الأناسي وعدم تكليف الحيوانات، وأن ذلك راجع كما بينا إلى المطاوعة الذاتية والانقياد بالطبع والظهور بما أريد منه، بخلاف الإنسان، فإنه ادعى بحاله من حيث قابليته الصورة الإنسانية أن يكون

مرآة لحقيقةها تماماً، بحيث يظهر أحکامها بالفعل، فقبول بالامتحان مقابلة ذاتية بموازنة حقيقة عدلية كما سبقت الإشارة إليه وكما أخبر الله سبحانه عن ذلك بلسان بعض المقامات التي تشتمل عليها الحقيقة الإنسانية وهو قوله تعالى: ﴿الَّمَّا أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ... إلى آخر الآية وإلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ [العنکبوت: 1 - 3].

[11/8] ويعلم من هذا الفصل أيضاً سر الرحمة العامة الذاتية والفيض الجودي وأنه في مقابلة مطلق القبول للتجلی الوجودي، فيدرك الفرق بين مطلق القبول وبين القبول على وجه مخصوص، ويعلم غير ذلك مما يطول ذكره.

[12/8] وهذا المقام يحتوي على علوم جمة كلية أضربت عن إيرادها طلباً للاختصار، وما سوى ما أشرت إليه من أصول هذا الفص فقد نبه شيخنا رضي الله عنه فلنقتصر على ذلك.

[13/8] لكن بقي تتمة لطيفة من أسرار هذا الفص اليعقوبی أذكرها واختتم الكلام عليها إن شاء الله تعالى؛ وهو أن يعقوب عليه السلام ظهر بوصف الدينين فجوزي بالجزائين، فكان من جزائه بما لا يلائم ما قاساه من فراق يوسف عليه السلام ووقع ذلك في مقابلة فعل صدر منه.

[14/8] فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال ما هذا معناه وهو أن يعقوب عليه السلام ناجى ربه بعد فراق يوسف فقال: يا رب أخذت ولدي وريحانة قلبي فرده علي أسمه شمة ثم افعل بي ما شئت، فأوحى الله إليه: ألم تعلم لم كان ذلك؟ قال: لا! قيل له: إنك كنت تأكل في بعض الأيام طعاماً شهياً فمر ببابك سائل جائع فلم تعطه من ذلك الطعام، فكما أحرمنته ما يشهي أحرمناك ما تشهي، فتاب يعقوب عليه السلام. قال: وكان بعد ذلك إذا أراد أن يتغذى يقيم شخصاً بباب بيته ينادي: ألا إن يعقوب إسرائيل الله يتغذى، فمن شاء أن يتغذى معه فليأت؛ ولما أخذ يوسف أخاه بحجة الصواب كتب إلى يوسف قبل أن يعلم من هو صاحب مصر.

إِسْمَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[8/15] من يعقوب إسرائيل الله إلى عزيز مصر! سلام عليك! أما بعد: فإننا أهل بيت خص بنا البلاء؛ فأما جدي: فإنه ألقى في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً؛ وأما أبي فابتلي بالذبح فداء الله بذبح عظيم؛ وأما أنا فكان لي ولد أحبه وأنس به، فأخذ مني، وقد بلغني أنك أخذت لي أيضاً ولداً لأنه سارق، فالله الله فيبني فإني لم أسرق ولم ألد سارقاً، والسلام.

[8/16] فأجابه يوسف: سلام عليك! من عزيز مصر إلى إسرائيل الله! أما بعد: فإنه وصل كتابك الذي ذكرت فيه شأنك وشأن آبائك، وقد عرفنا ذلك، فاصبر كما صبروا تظروا، فوطن نفسك على الصبر والرضا؛ فجازاه الله بما يلائم وجمع بينه وبين أولاده على ما يحب ويرضى.

[8/17] والسر الآخر في ذلك هو أن القلوب التي شاء الحق منها أن يتجلى له ليصير مستواه ومنصة تجليه، لا يرضى أن يشارك فيها، فلما أخذ يوسف من قلب أبيه مكاناً لبقية مناسبة ثابتة بين يعقوب وبين ما سوى الحق، أخذ الحق يوسف عنه بيد الغيرة وصقل بالحزن وألم الفراق قلبه؛ فلما آيس وانفرد للحق وتطهر من حكم السوى، رد الله إليه أولاده على أحسن حال وهو الجزاء بما يلائم، وهذه معالجة الربانية وطب إلهي قل من يعرف سره؛ وهذا مقام شريف في طريق الله جربت له بركات لا تحصى وشاهدت صحة هذا الحكم والمجازاة في نفسي وفي جماعة من أهل الله، والحمد لله.

(9)

فك ختم الفص اليوسفي

[9/1] المضاف إلى الصفة النورية. اعلم أن النور الحقيقي يدرك به وهو لا يدرك، لأنه عين ذات الحق من حيث تجردها عن النسب والإضافات، ولهذا سئل النبي ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أَنِي أَرَاهُ؟»⁽¹⁾. أي: النور المجرد لا يمكن رؤيته؛ وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر وقال: ﴿الَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [النور: 35] فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: 35] فأحد النورين هو الضياء والآخر النور المطلق الأصلي؛ ولهذا تم ف Garland قال: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: 35] أي يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والسارى فيها إلى نوره المطلق الأحدي.

[9/2] ولما سأله ابن عباس رضي الله عنه عن رؤية النبي ﷺ ربه أخبر أنه رآه، فأخبر بقول عائشة رضي الله عنها وقولها عن النبي ﷺ: وقد سأله عن رؤية ربه و قوله: نورٌ أَنِي أَرَاهُ؟ فراجع السائل ابن عباس في ذلك فقال ابن عباس: ويحك! ذاك إذا تجلى في نوره الذي هو نوره، أي إنما يتعدى الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات، فاما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب: فالإدراك ممكن. كما قيل:

كالشمس تمنعك اجتلاعك وجهها فإذا اكتست برقيق غيم أمكننا

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام نور أني أراه...، حديث رقم (178) [161] ورواه الطبراني في الأوسط برقم (8300) [8/170] ورواه غيرهما.

[٩] وإلى مثل هذا أشار النبي ﷺ في بيان الرؤية الجنانية المشبهة برؤية الشمس والقمر، فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وأنه ليس بينه وبينهم حجاب إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن؛ فنبه ﷺ على بقاء رتب الحجابة وهي رتب المظهر. فاعلم ذلك، وإذا قد نبهتك على شأن النور الحقيقي وأنه يدرك به وهو لا يدرك.

[٤] فاعلم أن الظلمة لا تدرك ولا يدرك بها، وأن الضياء يدرك ويدرك به، ولكل واحد من الثلاثة شرف يختص به: فشرف النور الحقيقي هو من حيث الأولية والأصالحة، إذ هو سبب اكتشاف كل مستور. وشرف الظلمة هو أنه باتصال النور الحقيقي بها يتأنى إدراك النور - مع تعذر ذلك قبل الاتصال - وشرف الضياء هو من حيث الجمع بالذات بين الأمرين، واستلزم ذلك حيازة الشرفين.

[٥] وللنور الحقيقي ثلاث مراتب أخرى: إحداها مشاركة للوجود المحسن المطلق؛ والأخرى مشاركة للعلم الحقيقي المطلق أيضاً؛ والثالثة اختصاصه بالجمع الذي له الظهور والإظهار. وسأعرفك سر هذه الجمعية واحتلاصها بالضياء ومحنته بحيث يعرف منه حقيقة عالم المثال أيضاً.

[٦] فأما وجه اتحاد العلم مع الوجود والنور فهو من جهة أن كلاً منها من شأنه كشف المستور؛ أما الكشف بالوجود فهو من جهة أن الوجود لما كان واحداً في الأصل وعرضت له التعددات المختلفة، علم أن ثم معدودات متفاوتة القبول، فصار الوجود من هذا الوجه سبيلاً لمعرفة الماهيات المعدومة، إذ لولاه لم يعلم إن ثمة ماهيات أصلاً؛ وأما العلم فيكشف الماهيات المعدومة قبل الكشف الوجودي، ويعرف بكيفية قبولها للوجود وتتابع ذلك من بقاء وفناه وبساطة وتركيب وغير ذلك من اللوازم؛ وأما كشف النور فهو متاخر عن الكشف الوجودي لكنه يشترك الوجود والعلم في معقولية الكشف. فافهم.

[٧] وإذا تقرر هذا فاعلم أيضاً أن كل واحد من الوجود والعلم

والنور لا يتميز بينهم في أن كل واحد من حيث وحدته وإطلاقه لا يدرك ولا يرى، بل تعدد بينهم في حضرة الأحادية الذاتية، ويتميز الوجود عن العلم بكون المعلومات تعدد العلم من حيث التعلقات في مرتبة التعقل لا غير - بخلاف الوجود - فإن الموجودات تعدد وظهوره للمدارك في المراتب التفصيلية.

[٩/٨] وأما الفرق بين النور الحقيقي وسمى الوجود المحسن فهو من جهة أن الوجود يظهر للمدارك بقابلية المعلومات المعدومة المتعينة في علم الحق، والنور المحسن لا يمكن إدراكه إلا في مظاهر موجود. فاعلم ذلك وتدركه تعرف الفرق بين الحقائق وهي الماهيات الأسماء الإلهية وبماذا يتميز بعضها عن بعض؛ والفرق بين حكم الوجود وحكم العلم وحكم النور وشأن كل واحد منهم مع الآخر وشأن الثلاثة مع غيرهم من التوابع واللوازم والأسماء متفرعة عنهم. والله الهادي.

[٩/٩] ثم أقول: إن النور المحسن المشار إليه لا يغایر وجود الحق، ولا شك أن الوجود المحسن المتعقل في مقابلة العدم المضاد له، فإن للعدم الإضافي تعيناً في التعقل لا محالة وله الظلمة، كما أن الوجود له النورية ول لهذا يوصف الممكن بالظلمة، فإنه يت tors بالوجود فيظهر في الوهم فقط؛ فظلمته من أحد وجهيه الذي يلي العدم، وكل نقص يلحق الممكن ويوصف به إنما ذلك من أحکام نسبة العدمية، وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ظهر»^(١)، وخلق ها هنا بمعنى التقدير، فإن التقدير سابق على الإيجاد، ورش النور كنایة عن إفاضة الوجود على الممكنا

[١٠/٩] وإذا تقرر هذا فأقول: فالعدم المتعقل في مقابلة الوجود لا تتحقق له دون التعقل، والوجود المحسن لا يمكن إدراكه؛ فمرتبة

(١) ورد بلفظ: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصحابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل» رواه الترمذى في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، [٤/١٩٩].

العدم من حيث تعقل مقابله للوجود كالمرأة له، والمتعين بين الطرفين هو حقيقة عالم المثال والضياء صفتة الذاتي، ثم سرى هذا الحكم في كل متوسط بين شيئين؛ إنه إذا كانت نسبته إلى أحد الطرفين أقوى من نسبته إلى الطرف الآخر، أن يوصف بما يوصف به ذلك الطرف الغالب ويسمى باسمه.

[9/11] ألا ترى أنه لما كان عالم الأرواح وما فوقه من عوالم الأسماء والصفات موصوفاً بالنور والوجود الأبدى كانت صور عالم الكون والفساد موصوفة بالكدوره، والظلمة؟ لكونها في مقابلة عالم الأرواح الذي هو عالم النور، ولهذا لقبه شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالنورية، وإن فهي حقيقة ضيائية لا نورية محضة. وأما المتوسط بين نشأة الإنسان العنصرية وبين الروحانية ومعناه: فهو عالم الخيال المقيد، والصورة الظاهرة فيه تكون بحسب نسبة ذي الخيال المقيد من الطرفين، فإن قويت نسبته إلى طرف الأرواح ما فوقها، كانت تخيلاته صحيحة حقيقة وجودية علمية نورانية، وإن قويت نسبته إلى عالم الحس لغلبة أحكام صورها المنحرفة الكائنة الفاسدة وأحوالها المختلفة بعيدة عن الاعتدال، كانت تخيلاته يقظةً ومناماً تخيلات فاسدة وآرائه واعتقادات غير صائبة لخلوها عن النور العلمي وخاصية الوجود الأبدى، فسميت أضغاث أحلام.

[9/12] وأما إشارة شيخنا رضي الله عنه في هذا الفص اليوسفي إلى طرف من حال العالم وإيجاده ونسبته من جانب الحق؛ تعين على أن أذكر أصله؛ أعني أصل الإيجاد وموجبه: وإن كنت ألمعت بطرف منه منذ قريب، لكنني أذكر الآن تتمة ولو على سبيل الإجمال.

[9/13] فأقول: أعلم أن الحق هو النور، والنور لا يمكن أن يرى في النور، فكمال رؤية النور موقوف على مقابلة الظلمة، فمتعلق حب الحق إيجاد العالم؛ إنما وجبه حب كمال رؤية الحق نفسه جملة من حيث هو بيته ووحدته وتفصيلاً من حيث ظهوره في شؤونه. ولما كان من البين أن

كل ما لا يحصل المطلوب إلا به فهو مطلوب، لزم تعلق الإرادة الإلهية بإنجاد العالم لتوقف حصول المطلوب الذي هو عبارة عن كمال الجلاء والاستجلاء عليه.

[٩/١٤] ولما كانت المسؤولون الإلهية ذاتية وكان الاستجلاء الشام للذات لا يحصل إلا بالظهور في كل شأن منها بحسبه ورؤيته نفسه من حيث ذلك الشأن وبمقدار ما يقبله من إطلاقه وتعيينه وخصوصية، فتوقف كمال رؤيته على ظهوره في جميع المسؤولون؛ ولما كانت المسؤولون مختلفة من حيث خصوصياتها وغير منحصرة، وجب دوام تنوع ظهوراته سبحانه بحسبها لا إلى أبد ولا غاية، وهذا هو سر كون الحق خلافاً على الدوام إلى أبد الآباد.

[٩/١٥] لما كانت المراتب من وجه محصورة في الظهور والبطون والإعتدال والانحراف المعنويين ثم الروحانيين ثم المثاليين ثم الحسينيين وكمال الجمع ونقضاه؛ اقتضى الأمر استمرار حكم الظهور والإظهار بالإيجاد، واستمرار وجود الانحراف والإعتدال والنقص والكمال للإكمال، بحسب المراتب والمواطن وخصوصياتها وخصوصيات القوالب، كالهيئات الاجتماعية والأحوال والتركيبيات المتغيرة في الصور والأمزجة، والتضعيفات العددية الدائمة الحكم والمتناهية الآجال.

[٩/١٦] ثم أرجح وأقول: أعلم أن مستوى النور من كونه يدركه ويدرك به هو المسمى بالضياء ومحنته عالم المثال - كما مر - وله، أي عالم المثال مرتبة عامة من حيث هي تسمى عالم المثال المطلق وله مرتبة خاصة ذات تقديرات يخترق بعضها خيال النوع الإنساني وكل تخيل، وبه نبهت في الفص الإسحاقي أن الناس في خيالاتهم المقيدة على قسمين، وذكرت من حال كل قسم ما يسر الله ذكره: وسأذكر هنا تمهات تووضح المقصد إن شاء الله تعالى.

[٩/١٧] فأقول: من جملة أحوال أحد القسمين هو أن كل من غالب

على خياله الصفات التقييدية وأحكام الانحرافات الخلقية والمزاجية، فإنه لا يدرك مشرع خياله ومحنته من عالم المثال ولا يتصل به عن علم وشهود؛ وإن كانت الوصلة غير منقطعة، ومن حصل له سير في خياله المقيد حتى انتهى إلى طرفه المتصل بعالم المثال المطلق بحيث يتأنى له التجاوز من خياله إلى عالم المثال، فإنه يدخله فيدرك فيه ما شاء الحق أن يريه منه، بل قد يخرج منه - كما بینا في الفص الإسحاقي - إلى عالم الأرواح ثم إلى فسيح حضرة العلم، فيستشرف على جملة من المغيبات والكواين المقدر ظهورها في عالم الحس.

[9/18] فالمعبر إذا سمع الرؤيا ممن رآها وسألها تعبيراها لعدم علمه بما رأى وما المراد من تلك الصور الممثلة له، وكان المعبر تام المعرفة بالتعبير وبمواطن الرؤيا، فإنه يشخص الرؤيا في خياله، فإذا شخصها أسرتها إلى أن يدخله عالم المثال، فيرى نسبة تلك الرؤيا من عالم المثال ويستدل بتلك النسبة على الرؤيا وتتضمنه، بل قد يعيدها إلى عالم الأرواح وما بعدها حتى يقع على الأمر الذي قصد إبداعه في تلك الصورة الممثلة بها فيخبر عن المراد، ويسمى ذلك الإخبار تعبيراً، وما وجد في الرؤيا من خلل يفضي بعدم المطابقة بين المعنى المقصود وإياته والتعريف به وبين الصورة الممثلة، علم أن ذلك من كدوره الباطن صاحب الرؤيا وانحراف مزاجه وفساد هيئة دماغه واحتلال أحواله الحسية، كالكذب وسوء سيره والانهماك على أمر خسيس ينغمس به أوقاته وأحواله المحمودة بحيث يستهلك أحكام صفاته وأحواله المحمودة في ضمن ذلك الوصف الغالب، والأمر بالعكس إذا كان الحال بالعكس؛ وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»⁽¹⁾.

[9/19] ثم نبه في حديث آخر على كليات أقسام الرؤيا وحكم

(1) أورده النووي في رياض الصالحين، باب الرؤيا وما يتعلق بها [218/1].

الاعتدال فيها والانحراف فقال - ﷺ : الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله⁽¹⁾، وهي التي ظهور حكمها موقوف على تهيئه واستعداد معتدلين وصفاء محل وطهارة نفس ليتأتى لصاحبها تلقي ما يصل إليه من التعريفات الإلهية والاستجلاء الروحانية والمعنوية بواسطة الصور المثلالية. ثم قال ﷺ : رؤيا تخزين من الشيطان⁽²⁾، وهي التي قلنا إنها نتيجة الانحرافات المزاجية والكدورات النفسانية وفساد الهيئة الدماغية ونحو ذلك مما سبق التنبية عليه؛ ثم قال ﷺ : ورؤيا مما حدث المرء به نفسه⁽³⁾، وهذه من آثار الصفات الغالبة الحكم على نفس الرائي حال رؤيته مثل هذه الرؤيا، وأثر الحال القاهر أيضاً الذي يتلبس الرائي.

[20] ثم اعلم: أن من أقوى الأسباب الموجبة اطلاع النائم على ما يراه، وهو توحد توجهه وجميع همه وميله إلى الإعراض عن جل أحكام الكثرة، وترجيحه: تعطيل تصرفاته المتنوعة طلباً للراحة لشعور نفسي من خلف حجاب الطبع، يقضي بأن الراحة منوطه بالإعراض اللازم لما ذكر، هذا ترجيحه، وإن لم يتحقق أصل هذه المسألة وعموم حكمها فيسائر الأنواع الاطلاعات.

[21] وأما مواد الصور التي يتمثل له من حيث هي - لا من حيث معانيها - فهي الأشياء المصاحبة له من عالم حسه ويقظته وآثار الأوصاف والأحوال الغالبة عليه حالتئذ، كما سبقت الإشارة إليه، فإن لهذه الأمور إندراجات بعضها مع بعض طبيعية وعقلية معنوية، ولتلك الامتزاجات بعضها مع بعض أحكام تسرى في صورة التمثيل، فيظهر حسناً وقبحاً بحسب درجات الاعتدال والانحراف الطبيعي والمعنوي الخصيص

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى، ما يفعل إذا رأى في منامه شيء يعجبه، حديث رقم 10745 [4/6] ورواه البيهقي في شعب، حديث رقم (4760) [187].

(2) - رواه البيهقي في شعب الإيمان، قال لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، حديث رقم (4760) [4/187] ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة، ما يفعل إذا رأى في منامه شيء يعجبه، حديث رقم (909) [510].

بالصفات والأحوال والعلوم والاعتقادات، ولا آخر أنفاس اليقظة التي يتلوه النوم سلطنة قوية بحسب ما كان الباطن به حاليًّا مغموراً، فإن لم يكن الباطن مغموراً بشيء وخلاف بالكلية من الخواطر وال العلاقات وخواص الأفعال والصفات القريبة العهد بالشخص كان ذلك سبباً معيناً في مزيد الاطلاع وصحة ارتسام ما اطلع عليه النائم في نفسه.

[22/9] وأما تأخر ظهور حكم المنامات : فإنه دليل على علو مرتبة النفس لكونها أدركت ما سيكون في العالم العالى جداً ، القريبة من حضرة العلم وعالم المعانى المجردة ، فلا بد من فترة واقعة بين زمان الاطلاع وزمان ظهور حكم ما وقع الاطلاع عليه في الحس بمقدار ما يقتضي مكث ذلك الأمر في كل سماء إلى أن ينصب بحكمه ويأخذ حصته من ذلك الفلك وما فيه ، ثم يمر متنازاً إلى الفلك الذي هو دونه ، وهكذا إلى آخر فلك طلباً للاستئام ومستصحباً قوى ما يمر عليه ، فإن لكل كائنة وأمر يظهر في هذا العالم من حال انفصالة المعنوي من مقام القلم الأعلى واللوح المحفوظ واتصاله بالعرش ثم الكرسي وفي كل سماء ، متزاً ومقاماً ، وذلك لما مر بيانه .

[23/9] وقد ورد في الحديث : إن الأمر الإلهي يبقى في الجو بعد مفارقه سماء الدنيا ثلاثة سنين حتى يصل إلى الأرض ويتصل بالمحل المختص به . وهذا من المكافئات المجربة والمتفق عليها .

[24/9] وسرعة ظهور حكم الرؤيا وما عبرت به دليل على ضعف نفس الرائي - وإن صفت - فإنها لم تفق على الترقى والعروج لتدرك صور الأمور والكواين المقدر وقوعها في العالم العالى ، بل كان غاية عروجها - حال إعراضها عن التعلقات البدنية والشواغل الكونية - الجو الذي بين الأرض وبين الفلك الأول ، فأدركت بذلك القدر من الصفاء الذي استفاد به بعض الكواين في أثناء الجو ، فلم يتاخر ظهوره . وهذا حال أهل البداية من السالكين ، وقد جربنا ذلك كثيراً في أصحابنا وأصحاب غيرنا من الشيوخ ،

وكذلك في أنفسنا زمان البداية.

[25/9] ورأيت من الشيخ الإمام العارف المحقق سعد الملة والدين محمد المؤيد الحموي قدس الله نفسه الزكية إن كان يرى الكوائن في عالم المثال المطلق ويعلم حالتين أن المرئي صورة معلومة ذلك الشيء المتعين في علم الحق أولاً مثلت له وأنه لأبدى ظهور ذلك الشيء في الحس بصورة ما رأه هناك - دون تغير ولا تبدل - .

[26/9] ورأيت غير واحد ممن له هذه الرؤية غير أن أكثرهم لم يكن له علم بأن الذي رأه عبارة عن عين ثابتة من جملة المعلومات المتعينة في علم الحق أولاً وأبداً على و蒂رة واحدة مثلت له صورتها في عالم المثال المطلق وأنه سيدخل هذا العالم الحسي بتلك الصورة.

[27/9] وأما ما شاهدته وذقته وجربته من ذوق شيخنا رضي الله عنه وأرضاه فأعظم وأعلى من أن يتسلق الفهوم إليه أو يستشرف العقول عليه فإنه كان يستجلي المعلومات الإلهية في حضرة العلم ويخبر عن كيفية تبعية العلم للمعلوم وكون العلم لا أثر له في المعلوم، بل المعلوم يعين تعلق علم العالم به ويعطيه ذلك من ذاته، فإن كان علم العالم علمًا ذاتياً أزلياً: كان العطاء من المعلوم عطاءً ذاتياً أزلياً، لأن تعين المعلوم في العلم الإلهي الأزلي تعين أزلياً أبدى على وتيرة واحدة؛ وإن كان علم العالم علمًا انفعالياً حادثاً: كان تعلقه بالمعلوم تعلقاً حادثاً إنفعالياً مثله هذا، مع تبعية العلم من حيث تعلقه للمعلوم على كل حال، وكان يشهد الاستعدادات التي للناس جزئياتها وكلياتها ويشهد نتائجها وما يستمر كل استعداد منها إلى منتهى أمر كل إنسان في مرتبة شقائه وسعادته، وكان أخباره عنه تابعاً لنظرية مخصوصة ينظر بها إلى الشخص، أي شخص أراد الاستشراف على كنه حاله وما يستقبله إلى حين مستقره في مآلاته في مرتبة نقصه أو كماله ثم يخبر ولا يخطئ.

[28/9] شاهدت ذلك منه في غير واحد وفي غير قضية من الأمور

الإلهية والكونية، واطلعت بعد فضل الله وببركته على سر القدر ومحتد الحكم الإلهي على أشياء، وبشرني بالإصابة في الحكم بعد ذلك في ما أحكم به بسبب هذا الاطلاع ونيل ما يتعلق الإرادة بوقوعه بموجب هذا الكشف الأعلى، فلم ينخرم الأمر عليّ ولم ينفسخ. والحمد لله المنعم . المفضل.

(10)

فك ختم الفص الهودي

[1/10] اعلم أن للوحدة ثلاثة مراتب، لكل مرتبة اعتبار: فالاعتبار المختص بالمرتبة الأولى هو اعتبار الوحدة من حيث هي، هذا الوجه لا تغير الأحديّة، بل هي عينها لا من الوجهين الآخرين، وليس من هذا الوجه نعتاً للواحد بل هي ذاته، فمتنى ذكرت الأحديّة الذاتية وكان المترجم عنها الحق أو واحد من أكابر المحققين الراسخين في العلم فإنه إنما يطلقها بهذا الاعتبار الذي ذكرناه، ولكل شيء أحديّة تخصه وهي اعتباره من حيث عدم مغایرة كل شأن من الشؤون الذاتية للذات المعنونة بالأحديّة بالتفسير المشار إليه.

[2/10] والاعتبار المختص بالمرتبة الثانية هو اعتبار الوحدة من كونها نعتاً للواحد وتسمى بوحدة النسب بأحديّة الصفات والإضافات، وينضاف إلى الحق من حيث الاسم الله الذي هو محدث الأسماء والصفات ومشروع الوحدة والكثرة المعلومتين للجمهور.

[3/10] والاعتبار المختص بالمرتبة الثالثة هو اعتبار الوحدة من حيث لا يلحقها من الأحكام التي هي على نوعين: نوع متعقل فيها لكن ظهوره موقوف على شرط أو شروط، مع أن تلك الوحدة بالذات مشتملة عليها بالقوة. والنوع الثاني من النعم والأحكام ليست الوحدة بالذات مشتملة عليها، وإنما يلحق وينضاف إليها من أمور خارجة عن معقولية صرافة وحدتها؛ كقولنا: الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وأنه مبدأ لما يتعقل من معنى التعدد النسبي أو الوجودي.

[4/10] وهذه الوحدة التي تضادها الكثرة وتختص بمرتبة الأفعال

لوحدة الفعل والفاعل وكثرة المحال التي بها تظهر الكثرة، فإنها الخصيصة بهذا الفص الهودي وهو ذوق هود المذكور في قصته عليه السلام؛ فإنه ذكر الأخذ بالنواصي والمشي والصراط، وكل هذه أحكام التصرف والتصريف وأنه الفعل لا محالة، غير أنه غالب في أخباره وحدة الفعل على التععدد العارضة له في المحال المتأثرة والمعددة إياه، والسر فيه هو من أجل عدم اعتبار الوسائل والأسباب المشار إليها بقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَّهَا﴾ [هود: 56] فأضاف الأخذ إلى الهوية التي هي عين الذات، حتى أنه لم يذكر يداً ولا صفة ولا غير ذلك.

[5/10] وهو مشهد المتوسطين من المحققين، فإن مقتضى ذوقهم أن الأسباب والوسائل معدات لا مؤثرات، وأن الفعل في أصله واحد وأنه أثر الحق لا أثر فيه لسواه من حيث ذات الفعل من كونه فعلاً، لكن يكتسب ذلك الفعل الوحداني فعل المتعددات من المحال المتأثرة ويتبع ذلك التعدد كيفيات نافعة للمكتسب العدد وكيفيات مضرة له عاجلاً وأجلأً، مؤجل وغير مؤجل، وذلك النفع والضر تارة يعودان على الإنسان من حيث روحه وتارة يعودان عليه من حيث صورته ونشأته، وتارة يعودان على المجموع.

[6/10] وثم صنف أعلى وأكشف من هذا الصنف ومقتضى ذوقهم: أن الفعل الوحداني وإن كان إلهياً ومطلقاً في الأصل لا وصف له غير أن تعينه بالتأثير، والتأثير التكليفي إنما يكون بحسب المراتب التي يحصل فيها اجتماع جملة من أحكام الوجوب والإمكان في قابل لها وجامع، فإن ظهرت الغلبة لأحكام الوجوب على أحكام الإمكان وصف الفعل بعد تقيده وقبوله التعدد طاعة وفعلاً مرضياً حميداً، وإن كانت الغلبة لأحكام الإمكان وتضاعف الخواص الوسائل كان الأمر بالعكس؛ بمعنى أن الفعل يسمى من حيث تقيده على ذلك الوجه وتكيفه بتلك الكيفيات معصية وفعلاً قبيحاً غير مرضي ونحو ذلك.

[7/10] والحسن والقبح راجعان إلى ما يناسب مرتبة الشرع والعقل

وإلى الملائمة من حيث الطبع والغرض، ولسان الشرع معرب إما عن بعض المحسنات الخافية عن العقول عاجلاً - وكذلك عن القبائح - أو معرب عمما يعود من ذلك الفعل من حيث الثمرات على الشمرات وعلى المعين والمكيف إياه بذلك الوصف، وكل ذلك بحسب ما يعلمه الشارع من سر ذلك التكيف والتعدد المخصوص بالنسبة إلى عموم الفاعلين أو بالنسبة إلى الأكثرين منهم، وبيان كيفية التدارك والتلافي لذلك الضرر الموعظ في الفعل غير المرضي أو تتمته، وذلك النفع في الموعظ المسمى فعلاً مرضياً وثبتته.

[8/10] وثم صنف أعلى ومن مقتضى ذوقهم وشهادتهم معرفة أن كل سبب وشرط ووسائل ليس غير تعين من تعينات الحق وأنه فعله سبحانه الوحداني يعود إليه من حيية كل تعين بحسب الأمر المقتضى للتعين كان ما كان، وأن المضاف إليه ذلك الفعل ظاهراً يتصل به حكم الفعل وثمرته بحسب شهادته ومعرفته ونسبته إلى الفعل الأصلي وأحادية التصرف والمتصرف وانصياغ أفعاله بحكم الوجوب وسر سبق العلم وموجهه ومقتضاه وبضعف ذلك أو عدمه.

[9/10] ومن لم يذق هذا المشهد ولم يطلع عليه لم يعرف سر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَأَيْتَ إِذْ رَأَيْتَ وَلَنْكَرَ أَلَّهَ رَأَى﴾ [الأنفال: 17] ولا سر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10] ولا سر قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»﴾⁽¹⁾; ولا سر قوله تعالى: «كُنْتَ سَمِعْتَهُ وَبَصَرْتَهُ وَرَجْلَهُ، فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يَبْصِرُ وَبِي يَسْعَى وَبِي يَبْطَشُ»⁽²⁾، ولا سر قوله الذي هو دون ذلك كله: ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [التوبة: 14] ولا يعرف من أي وجه يصح نسبة الأفعال إلى الحق من حيث أصالتها ومن حيث أحدية جمعها، ومن أي

(1) أورده علي برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية، [1/411] وأورده علي القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود، [1/106].

(2) أورده الحطيم الترمذى في نوادر الأصول، في بيان عدد الأبدال وصفاتهم، [1/265].

وجه أيضاً يصح نسبتها إلى الحق وإن تعددت وتكثرت.

[10/10] ولا يعرف أيضاً هل مقام التمحض المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10] أعلى أو مقام التشكيك المبنية عليه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكِبَ اللَّهُ رَمَى﴾ [الأనفال: 17] ولا يعرف مرتبة الحسن والقبح الحقيقي والنسيبي، ولا يعرف نتائج الأفعال والثمرات في الدنيا والبرزخ والحضر والنار والجنة ولو ازماها من الأسرار؛ فتنبه ترشد.

[11/10] فهذا روح هذا الفص والخفى من شأنه، وما سوى ذلك فقد نبه شيخنا رضي الله عنه على ما قدر له ذكره منه وما أمر بتسطيره - كما أشار إليه - والله المرشد.

(11)

فك ختم الفص الصالحي

[1/1] واعلم أن شيخنا رضي الله عنه بسط في هذا الفص الكلام في التشليث وتوقف الإيجاد عليه، وأما في الجزء المتضمن التنبيه على بعض كليات أصل كل فص فإنه لم يزد عند الترجمة عن أصل هذا الفص على الكلام على سر الإيجاد وتوقفه على التشليث، وأنا أوضح لك الحكمة في ذلك - وإن لم يكن سألت الشيخ رضي الله عنه ولا فاوضته فيه ولا استشرحت عليه هذا الكتاب ولا غيره من تصانيفه - وإن كان معظم ما فتح الله على من بركاته من ومنزلاته من فيض الحق المار على مرتبته ومشكاته .

[1/2] فأقول: لما ترجم رضي الله عنه هذا الفص بالحكمة الفتاوية، كذلك نبه على سر الإيجاد الذي هو أول الفتح الظاهر؛ وأما سر قوله: فتوحية، ولم يقل فاتحة: إن الفتوح على أنواع عددها عدد مفاتيح الغيب، فراعى في ذلك الأدب الإلهي قصد الموافقة للحق في التنبيه على البدء الإيجادي من الغيب الذاتي والوجود المطلق الإحاطي؛ وقد ذكرت من أمهات مفاتيح الغيب جملة في تفسير الفاتحة وأجبت عن سؤال القاصري الإدراك والفهم، الذين فهموا من قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] انفراده سبحانه بعلمه دون الكامل، وبيّنت من أي وجه يتعدّر فهمها ومن أي وجه تحصل، وسأذكر في كشف هذا الفص جملة أخرى من مفاتيح الغيب وأنبه على ما يختص منها بالغيب الإضافي النسبي وما يختص بالغيب الحقيقي والعلم الذاتي الإلهي، وأنبه على الحكمة التي كانت سبباً في اختيار شيخنا رضي الله عنه

ذكر الفتوح في هذا الفص الصالحي ، ولنبأ بذلك أنواع الفتوحات الإلهية .
بعون الله ومشيئته .

[11/3] فنقول : أول مفاتيح الغيب الجمع الأحادي الذي هو البرزخ الجامع بين الأحكام الوجوب والإمكان ، فإن الوحدة الذاتية والتجلّي الوجودي الإطلاقي لا يضاف إليهما اعتبار من الاعتبارات الشبوانية والسلبية - كالاقتضاء الإيجادي أو نفيه - ولا الأثر الوحداني أيضاً ولا التعدد وكيف ذلك ؟ والتحقيق أفاد أن تأثير كل مؤثر في كل متأثر موقوف على الارتباط ، ولا ارتباط بين شيئاً أو الأشياء إلا بمناسبة أو أمر مشترك بينهما ، ولا ارتباط بين الأحادية الذاتية من حيث تجردها عن الاعتبارات وبين شيء أصلاً - كما سبق التنبيه عليه في فك ختم الفص الهودي قبل هذا .

[11/4] فوضحت أن مبدئية الحق ونسبة صدور شيء أو أشياء عنه إنما يصح من حيث الوحدانية ، فإنه الواحد والوحدة تلي الأحادية وهي مشروع الصفات والأسماء التي لها الكثرة النسبية ، وإنها من حيث الحق الواحد حشيات أو اعتبارات كيف قلت ، تقتضي تعريف الفيض والأثر الوحداني الذاتي الإلهي وإظهار تعيناته الكامنة بواسطة المعلومات المتعددة لذاتها ، المرتسمة في عرصه العلم الذاتي ، وهذه الحشيات المشار إليها هي أحكام الوجوب .

[11/5] ولما كان في مقابلة كل تأثير قابل له متأثر سمي تلك القابليات بأحكام الإمكان ، ولما كانت هذه الاعتبارات والصفات الإضافية متفاوتة المراتب كالشهيد والرقيب والحسيب ، فإنها من لوازם العليم وتتابع له ، وكذلك الاسم الخالق والباريء والمصور والقابض والواسط والفالق والفاطر من تتابع الاسم القدير ولوازمه ، لزم بيان الأمهات منها التي لها الأولية ليتضح تبعية ما سواها لها .

[11/6] وإذا تقرر هذا فاعلم : إن أول المفاتيح الغيبة بعد الجمع الأحادي المنبه عليه ، الأسماء الذاتية التي لا يعلمها إلا الكامل وهي من

أعظم أسرار الحق المحرّم إفشاءها ، وأمهات الأسماء الألوهية - التي هي العلم والحياة والإرادة والقدرة - كالظلالات والسدنة للأسماء الذاتية، ولها، أعني الأسماء الذاتية الغيب الحقيقي، وهي السارية بالذات والحكم في المفاتيح التي قلت إنها تختص بالغيب الإضافي، وهي التي كنـى الحق عنها بالفطر والفتـق والفلق والزرع والخلق والجعل والإخراج.

[11/7] فالفطر والفتـق مفتاحان لتمـيز المواد الجـامـعة بـذـاتـها بين اللطائف والـكـائـفـ والـصـلـبةـ والـرـخـوةـ، أحـدـهـماـ لـتكـثـيرـ الـواـحـدـ وـالـآـخـرـ لـنـفـصـيلـ المـجـمـلـ.

[11/8] والزرع والفلق مفتاحان للإظهـارـ والتـولـيدـ والتـكـوـينـ، أحـدـهـماـ لـتهـيـئـةـ المـادـةـ لـقـبـولـ التـصـرـيفـ وـالـآـخـرـ لـتـكـمـيلـ التـصـرـيفـ بـإـخـرـاجـ ماـ فـيـ القـوـةـ إـلـىـ الفـعـلـ.

[11/9] والخلق مفتاح مختص بالصور والأجسام من حيث الجمع والتركيب والتعيين.

[11/10] وأما الإخراج فعلى ضربين: إخراج منه كالمطر من السحاب والمعادن من جوف الأرض والجبل والمياه؛ وإخراج كالمطر يخرج به النبات من الأرض، وكل هذا مفاتيح.

[11/11] وأما الجعل فإنه مفتاح إيجاد الصفات الـلاـزـمـةـ للمـخـلـوقـاتـ والـخـصـيـصـ بالـحـقـ؛ـ منـ ذـلـكـ،ـ أـعـنـيـ منـ مـفـاتـيـحـ الغـيـبـ شـهـودـ كـيـفـيـةـ الفـتـحـ وـإـدـراـكـهـ الذـاتـيـ بـالـسـرـاـيـةـ المـكـنـىـ عـنـهـ بـالـمـعـيـةـ،ـ كـمـ قـالـ سـبـحـانـهـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ هَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْحَمِيرُ﴾ [الملك: 14] فإنه اللطيف لسريانـهـ فيما خلقـ وـصـحبـتـهـ كـلـ شـيـءـ مـماـ زـاجـةـ وـلـاـ حـلوـلـاـ،ـ الـخـبـيرـ بـكـيـفـيـةـ السـرـيـانـ وـحـكـمـهـ بـالـسـرـيـانـ الـمـظـهـرـ سـرـ الـخـبـرـةـ الـتـيـ هـيـ آـخـرـ ظـهـورـاتـ حـكـمـ الـعـلـمـ وـأـكـمـلـ درـجـاتـهـ،ـ فـلـذـلـكـ قـلـتـ الـخـصـيـصـ بـالـحـقـ فـيـ إـدـرـاكـ كـيـفـيـةـ الفـتـحـ بـالـذـاتـ وـالـانـفـرـادـ بـمـشـاهـدـةـ الـفـتـحـ الـأـوـلـ مـنـ الـمـفـاتـيـحـ الـأـوـلـ الـتـيـ سـبـقـ التـنبـيـهـ عـلـيـهـاـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ هـوـ سـرـ تـعـلـقـ الـقـدـرـةـ بـالـمـقـدـورـ.

[11/12] وأما مفتاح الإيجاد الأمري الذي نتيجته وجود الأرواح فهو القول، فإنه نتيجة اجتماع بعض الحروف الربانية وقد ذكرنا في فك ختم الفص العيسوي، وذكرنا أيضاً مراتب جميع الحروف الربانية وأسرارها في تفسير الفاتحة فليكشف من هناك، فإن إعادة ذكرها يفضي إلى مزيد بسط لا يليق بهذا المختصر.

[11/13] وأما سر إيجاد عالم المعاني: فإنه نتيجة التوجه الأول الذاتي من حيث روح الجمع الأحدى، فافهم. ثم اعلم أن لأحكام الأسماء التي ذكرنا أنها الخصيصة بالغيب الإضافي امتزاجات معنوية وتدخلاً من بعضها في البعض، وإنما ترتيب الإضافة على النحو المذكور مراعاة الأغلب والأظهر، حكمًا في الشيء الموجود؛ كما يقول: الفلفل حار يابس والقرع بارد رطب، مع أن كلاً منهما لا يخلو عن الطبائع والكيفيات الأربع. فاعلم ذلك وتدبر ما سمعت، فقد ذكرت لك أنواع المفاتيح وأجناسها وما فتح بكل منها، ودستت للبيب في ذلك أسراراً خفية لم توجد في الكتب ولا تتسلق إليها المدارك والفهم. والله المرشد.

[11/14] وأما باب وجه المناسبة بين الفتوح وبين صالح عليه السلام: فمن أجل آيتها التي بعث بها، أعني الناقة التي انفلق الجبل عنها، وأضافها الحق إليه سبحانه كما أضاف إيجاد آدم إليه من حيث المباشرة ومن حيث نفح الروح فيه أيضاً، وأفرد الإضافة إلى نفسه فقال: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾^{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَعَوَا لَهُ سَجِيدَنَّ﴾ [ص: 71، 72] ولم يذكر مثل هذا في حق غيره، وراعى سبحانه حكم هذا الإفراد في توبيخه لإبليس بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: 75] واستعمل في حق غيره عند الإخبار عن صورة الإيجاد بضمير الجمع اعتباراً للوسائل والأسباب، فقال تعالى في موضع: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ [الأنياء: 91] وقال في موضع: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِينَا أَنْعَمْنَا﴾ [يس: 71] ونحو ذلك بما ورد التعريف به في الكتاب والسنة في غير ما موضع.

[15] فالحيوانات على اختلاف أنواعها وإن كان مبدأ تكوينها من التعفين الحاصل من الجمادات، غير أن لآدم والناقة وما يشبههما - ولو من بعض الوجوه - مزيد اختصاص لا يطلع عليه إلا الأكابر من أهل الله.

[16] ثم اعلم: أن آدم وحواء عليهما السلام مفتاحا باب التوالد والتناسل الإنساني، فإنه لم يكن قبلهما توالد وهما مخلوقان من الجمادات المخبر عنها بالتراب تارة وبالطين تارة وبالحمأ المسنون تارة وبالصلصال كالفحار تارة. ولما أخبر الحق من مبدأ شأنهما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَهَدَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا حَفِيقًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعْوَاهُ اللَّهَ رَبَّهُمَا لِئَنْ إِاتَّيْنَا صَلِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189].

[17] وورد أن مرادهما كان أن يرزقا ولداً ذكرأً صالحأً من حيث الصفة، فاستزلهما الشيطان وقال: إن اشتريتما أن يسمى الولد عبد الحارت فإني ألتزم أن يكون ذكرأً، فأذعنوا له، فلما ولد المولود وهو شيش عليه السلام ظناً أن أبليس كان له في ذلك الأمر مدخل، فذكر الحق ذلك بلسان العتب عليهما عقب الآية التي ذكرناها، ثم بعث الله فيما بعد من ذريته من جعل اسمه وسماه صالحأً بالذات والصفة وجعل الله لقومه الناقة التي خلقها الله من الجماد - كما خلق آدم - وأضافها إليه وأمرهم باحترامها كما أمر الملائكة بالسجود لآدم، فمن آمن بصالح عليه السلام فالصفة الملكية المقتضية للسجود وامتثال الأمر الإلهي.

[18] وأما عاقروا الناقة: فمظاهر إبليس الذي أبي واستكبر وكان من الكافرين، لا جرم استحقوا العذاب - كما استحق إبليس اللعنة إلى يوم الدين - ولو لا خوف التطويل لذكرت سر اختصاص موسى عليه السلام بالخطاب من الشجرة وبغير ذلك مما يستبشر إلى طرف من ذلك وغيره في الفص المحمدي إن شاء الله تعالى، واحتياط نوح عليه السلام بالماء والخليل عليه السلام بالنار واحتياط هود بالريح

العقيم، وبيّنت أن كل واحد من العناصر الأربع والمولدات الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، إنما يستند إلى الحق من حيثية اسم خاص، وأن كلنبي مما ذكرنا صدرت رسالته من حضرة الاسم الذي يستند إليه آيته، وسذكر ما يسر الله ذكره من أسرار الأنبياء سلام الله عليهم وأياتهم في الفص المحمدي وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

(12)

فك ختم الفص الشعبي

[1/12] اعلم أن في إقران شيخنا رضي الله عنه الحكمة القلبية بالكلمة الشعيبة سرين عظيمين، راعى في أحدهما المفهوم من لفظ الاسم وهو الشعيب، فإن شعيباً كان من العرب واسمه اسم عربي، كذا ورد في النقل: أن هوداً وصالحاً وشعيباً ويونس ولوطاً كانوا من العرب. وعلى الجملة لما كان القلب منبع الشعب المنبثة في أقطار بدن الإنسان، بل فيسائر الحيوانات التامة الخلقة، وهو أول ما يتكون من الإنسان والحيوان، ناسب ذكر الإقران المذكور، هذا مع أن ثم موجبات آخر استدعت إقران الحكمة القلبية بالكلمة الشعيبة، وسألواج بعض أسرارها فيما بعد بمشيئة الله وعونه.

[2/12] ولما كان القلب منبع التشعب كما ذكرت، لذلك تبعت منه الحياة الحيوانية وتسري في جميع أقطار الصورة فيتصل به ومنه إلى الأعضاء كلها المدد الذي به بقاء الصورة، كما هو الأمر في صورة الإنسان والحيوانات التامة الخلقة، فكذلك هو الأمر في مطلق صورة العالم علواً وسفلاً، وهذا أصل كبير ثابت شرعاً وكشفاً وعقلاً، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك غير مرة بالسُّنة مختلفة من جملتها قوله ﷺ: إن في الجسد لمضعة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

[3/12] وأما في مطلق صورة العالم: فقلب العالم العلوى الظاهر الشمس، فإن محلها قلب الأفلاك ومنها يتشر المدد النورى ويتصل بالكواكب كلها، هذا وإن خالف بعضهم في ذلك من بعض الوجوه فخلافه لا يقدح في ما ذكرنا.

[4/12] وأما قلب جملة الصور الوجودية : فالإنسان الكامل الحقيقى بربخ بين الوجوب والإمكان ، والمرأة الجامحة للذات والمرتبة من صفات القدم وأحكامه ، وكذلك الحدثان ، ولهذا جعل محل خلافته الأرض التي هي مركز الدائرة الوجودية ، ومقامها المعنوي المحجوب الآن بصورتها ، رتبة المبدائية في ابتعاث النفس الرحماني لتكوين النشأة الكلية الوجودية ، فناسب من هذا الوجه الإنسان الحقيقى النازل فيها بالخلافة ، لأنه الأول بالرتبة والمنزلة وإن كان آخرًا بالصورة ، فهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي هو سبببقاء ما سوى الله إلى العالم كله علوًا وسفلاً ، ولو لاه من حيث بربخته التي لا تغایر الطرفين ، لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الودهاني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل إليه ، وكان يعني أنه [الإنسان الكامل]⁽¹⁾ عمد السموات .

[5/12] ولهذا السر برحلته من مركز الأرض التي هي صورة حضرة الجمع وأحاديته ومنزل خلافته الإلهية إلى الكرسي الكريم والعرش المجيد المحيطين بالسموات والأرض ينخرم نظامها ، فيبدل الأرض والسموات ؛

(1) قال الشيخ الأكبر محبي الدين محمد بن عربى الحاتمى قدس سره : واعلم أنه لما كان الإنسان الكامل عمد السماء الذى يمسك الله بوجوه السماء أن تقع على الأرض فإذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء وهو قوله تعالى ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِيرٌ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] أي ساقطة إلى الأرض ، والسماء جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حل جسمها حر النار فعادت دخانًا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطممت النجوم فلم يبق لها نور إلا أن سباتها لا تزول في النار لا بل انتشرت فهي على غير النظام الذي كان سيرها في الدنيا فتعطى من الأحكام في أهل النار على قدر ما أوحى فيها الله تعالى لأن الأخرى تجديد نشأة أخرى في الكل لا يعرفها العقل الأول ولا اللوح المحفوظ ولذلك قال ﷺ إنه يحمد الله يوم القيمة في المقام محمود لا يعلمها الآن يعلمه الله إياها في ذلك اليوم بحسب ما يظهر في ذلك من حكم الأسماء الإلهية لا يعلمها أحد اليوم فنشأة الخلق وأحوالهم وما يكون منهم في القيمة والدارين على غير نشأة الدنيا وإن شبهاها في الصورة ولذلك قال ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أنها كانت على غير مثال ، كذلك ينشتكم فيما لا تعلمون يوم القيمة (الفتوحات المكية - ج 5 ص 481)).

ولهذا نبه أيضاً عَلَى مَا ذَكَرْنَا بِقَوْلِهِ على ما ذكرنا بقوله: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله، الله»⁽¹⁾. وأكده بالترکير يريد: وفي الأرض من يقول الله قوله حقيقةً، إذ لو أراد من يقول كلمة «الله» لم يؤكِد بالترکار؛ ولا شك أنه لا يذكر الله ذكراً حقيقةً وخصوصاً بهذا الاسم الجامع الأعظم المنعوت بجميع الأسماء، إلا الذين يعرفون الحق المعرفة التامة، وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله، وهو كامل ذلك العصر، فكأنه يقول: لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العمد المعنوي الماسك، وإن شئت فقل الممسوك لأجله. فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتشرت، وسیرت الجبال وزللت الأرض وجاءت القيامة، ولو لا ثبوته من حيث مظهريته في الجنة التي محلها الكرسي والعرش المجيد لكان الحال فيهما كالحال في الأرض والسموات.

[12] وإنما قيدت ثبوته من حيث مظهريته من أجل ما أطلعني الله عليه من أن الجنة لا تسع إنساناً كاملاً، وإنما يكون منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما في ذلك العالم من الإنسان.

[12] بل أقول: ولو خلت جهنم منه لم تبق، وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث عند قوله عَلَى لِفْظِهِ: «إن جهنم لا تزال تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَرِيدٍ﴾ [ق: 35] حتى يضع الجبار فيها قدمه، فإذا وضع الجبار فيها قدمه ينزو ببعضها إلى بعض وتقول: قط قط»، أي: حسي حسي.

[12] وأخبرت من جانب الحق أن القدم الموضوع في جهنم هو الباقي في هذا العالم من صور الكمل مما لم يصاحبهم في النشأة الجنائية، وكني عن ذلك الباقي بالقدم؛ لمناسبة شريقة لطيفة، فإن القدم من الإنسان آخر أعضاء صورته، فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (1267) [1/476].

الصورة الإنسانية، لأن صورة العالم بأجمعها كالأعضاء لمطلق صورته الحقيقة الإنسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت بها الحقيقة الإنسانية وبها قامت الصور كلها التي قلت إنها كالأعضاء.

[12/9] ثم اعلم: أن للقلب خمس مراتب: مرتبة معنوية ومرتبة روحانية ومرتبة مثالية ومرتبة حسية ومرتبة جامعة؛ ولكل مرتبة من هذه الخمس مظاهر هو منبع أحكام تلك المرتبة ومحتد التشبع المتفرع منها، ولكل قلب أيضاً خمسة أوجه: وجه يواجه حضرة الحق ولا واسطة بينه وبين الحق؛ ووجه يقابل به عالم الأرواح ومن جهته يأخذ من ربه ما يقتضيه استعداده بواسطة الأرواح؛ ووجه يختص بعالم المثال ويحتظى منه بمقدار نسبته من مقام الجمع وبحسب اعتدال مزاجه وأخلاقه وانتظام أحواله في تصرفاته وتصوراته وحضوره ومعرفته؛ ووجه يلي عالم الشهادة ويختص بالاسم الظاهر والآخر؛ ووجه جامع يختص بأحدية الجمع، وهي التي تليها مرتبة الهوية المعنوية بالأولية والآخريّة والبطون والظهور والجمع بين هذه النعوت الأربع.

[12/10] ولكل وجه مظاهر من الأناسي والخصيص لشعب عليه السلام من هذه الوجوه: الوجه المثالي، وأنه من وجه في مقامه هذا شبيه بالروح الحيواني المخزون في تجويف الأيسر من القلب الصنوبرى، فإنه يرزخ بين الروح الإنسان وبين المزاج، لأنه من حيث إنه قوة بسيطة معقوله يناسب الروح ويرتبط به، ومن حيث اشتتماله بالذات على القوى المختلفة المنبثة في أقطار البدن والمتصف فيه بالتصرفات المختلفة المتكررة؛ يناسب المزاج المركب من الأجزاء والطابع المختلفة؛ فلذلك تأتي الارتباط وتيسير المدد، إذ لو لم يكن ارتباط الروح البسيط بالمزاج المركب؛ وهذا من لطائف الحكم الإلهية المقتضية الجمع بين الأضداد في أمر جامع لها بأمثال هذه المناسبات التي يتوقف عليها الارتباط والتاثير التدبيري.

[12/11] وإذا عرفت هذا فاعلم أنه لما كانت التصورات المثلالية من الشمرة للصور الحسية الظاهرة؛ كانت تربية موسى عليه السلام أولاً على يد شعيب عليه السلام، ولذلك كان الغالب على حال موسى عليه السلام وأياته أحكام الاسم الظاهر. ولما شاء الحق تكميله - لكونه اصطنعه لنفسه - لذلك أرسله إلى الخضر عليه السلام الذي هو مظهر الاسم الباطن وصورة الوجه القلبي الذي يلي الحق، دون واسطة المنبه عليه من القصة بـ﴿فَأَرَدْنَا﴾ و﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: 81، 82] وبقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] فافهم.

[12/12] وكل هذه أحوال الباطن، بخلاف الاعتراضات الموسوية، فإن مستندها الأوامر الظاهرة، وكذلك الحسن والقبح اللازمان لها والذي هو صورة القلب الجمع والوجود كنبينا ﷺ، فإن مقامه نقطة وسط الدائرة الوجودية بوجوه قلبه الخمسة تواجه كل عالم وحضرته مرتبة، ويضبط أحكام الجميع ويظهر بأوصافها كلها بوجهه الجامع المنبه عليه آنفاً.

[12/13] إذا عرفت ما نبهتك عليه من النسبة الشعيبة القلبية عرفت لما كان آيته في رسالته الوفاء بالكيل والميزان، فإن المدد المنتشر من القلب في أقطار البدن إنما يتتفع به البدن إذا أخذ كل عضو منه ما يحتاج إليه من غير زيادة ولا نقصان، وكذلك الغذاء، والكيل نظيره توزيع الغذاء، والميزان نظيره المدد النفسي.

[12/14] وإذا فهمت ما أشرت إليه تعديت منه معتبراً ذلك ومستقراً به في صورة العالم، وحيثئذٍ تفهم مراد النبي ﷺ من قوله: «بالعدل قامت السموات والأرض»⁽¹⁾؛ وقوله أيضاً في وصف الحق: «بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه»⁽²⁾. وتعرف أيضاً أنَّ نور الله فهمك - معنى قوله

(1) أورده الآلوسي في روح المعاني، سورة الرحمن. [27/101].

(2) رواه ابن فورك في مشكل الحديث، ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه، [1/212].

تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] وسر قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: 12] فتنبه ترشد واقنع . فلسان هذا المقام طلق ذو بسط عظيم لا تحمل هذا المختصر تفصيله ، والله الهادي . [15/12] وأما سر الآخر من السرين فتختص بسعة القلب ونبهه من الرحمة التي وسعت كل شيء وتشعبت مائة شعبة - كما أخبر النبي ﷺ بذلك عنها - وسأشير إلى طرف منه وأختتم به الكلام على هذا الفص إن شاء الله تعالى .

[16/12] فأقول : أعظم الأشياء الموصوفة بالسعة من جانب الحق : الرحمة والقلب الإنساني والعلم ، فإنه قال في سعة الرحمة : ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156] وقال في الرحمة والعلم معاً بلسان الملائكة : ﴿رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7] فقال في سعة القلب الإنساني : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»⁽¹⁾ ... الحديث . ولا شك أن بين سعة كل واحد من هذه الثلاثة وبين الآخرين تفاوتاً لا يعرف معرفة حقيقة ما لم يعرف حقيقة الرحمة وأحكامها وحقيقة العلم وكيفية تعلقه بالمعلومات وحقيقة القلب الذي وسع الحق ، فلنبدأ بتأييد الله وإمداده بذكر سعة العلم الذاتي الإلهي وتعلقه بالحق والمعلومات .

[17/12] فنقول : اعلم أن تعلق علم الحق بذاته على نحوين - وكذلك تعلقه بالمعلومات - : فإن للحق تعيناً في عرصته تعقله نفسه ، ولهذا تعين الإطلاق بالنسبة إلى تعين كل شيء في علم كل عالم ، بل وبالنسبة إلى تعين الحق في تعقل كل متعقل ويتعلق علمه تعالى من حيث تعينه في نفسه ومن حيث تعينه في تعقل كل متعقل ؛ فعلمه سبحانه يتعلق به أيضاً بذاته على نحو آخر وهو : معرفته بذاته من حيث إطلاقها وعدم انحصرارها في تعينها في نفسه ، وهذه من معرفة كلية جملية .

(1) أورده العجلوني في كشف ضمن حديث رقم (1885/2) [129].

[18] ويتعلق علمه بالمعلومات أيضاً على نحوين: أحدهما باعتبار تعينها في علمه وتعقل امتياز بعضها عن بعض، غير أن هذا النحو من التعلق العلمي لا يشتمل جميع الممكناًت، بل يختص بما قدر دخوله في الوجود في دور أو أدوار محصورة؛ وأما بالنسبة إلى جميع الممكناًت من حيث إنها غير متناهية: فإن العلم لا يتعلق بها إلا تعلقاً كلياً جميلاً، كما أشرت إليه في شأن الحق من حيث إطلاقه.

[19] وعلة هذه النسبة والاشراك التام بين الحق والممكناًت هو أنها في التحقيق إلا وضح شؤون ذاته الكامنة في إطلاقه وغيب هويته، ولا تخلص لأحد في علمه بالحق من تجاوز التعينات التعلقية والانتهاء إلى تعين الحق في تعقله نفسه وشهاد اتصال ذلك التعين من وجه بالإطلاق الذاتي الغيبي العديم الوصف والاسم والرسم والحصر والحكم إلا لمن كان حقيقته البرزخ الجامع بين الوجوب والإمكان وأحكامها، فإنه يواجه بإطلاقه غيب الذات باعتبار عدم، لأنه لا تعقل له فكري يحضره عن إطلاقه معايرته له دون توهم تعدد وامتياز. فافهم وتدرك غريب ما سمعت وما عليه نبهت، تعرف أنه ليس شيء أوسع من العلم بشرط معرفته على الوجه المذكور.

[20] وأما سعة الرحمة المشار إليها في الكتاب والسنّة: فتخصص بعض المحدثات المتعينة في اللوح المحفوظ بكتابة القلم الأعلى وهي المتشعبـة إلى مائة شعبة - كما أشار عليه السلام - .

[21] وأما سعة القلب الذي وسع الحق فهي عبارة عن سعة البرزخية المذكورة الخصيصة بالإنسان الحقيقي الذي هو قلب الجمع والوجود، فإن الإنسان الحقيقي الذي هو قلب الجمع والوجود؛ قلبه برزخية وعلمه المنبـه عليه آنفاً، فافهم. فهذا روح هذا الفص والخفـي من أسراره، وقد نبهت فيما تقدم على ما يختص بشعيب من حيث حظه الذوقـي وحكمـه الأسمـى.

[22] وأما حظه من السعة: فيحسب مرتبة قلبـية المشـبـهة بالروح

الحياني ، وهي التي نسبت إليها وشعبها وأحكامها بمقدار حصته من مطلق قلب الجمع والوجود ، فإنها حصة متعينة نسبتها إلى قلب الجمع والوجود نسبة عالم المثال المقيد إلى عالم المثال المطلق ، فافهم ، وذكرت أمهاط القلوب فتذكر . وإذا اعتبرت وحدة الجملة من حيث عدم تشعبها وأعرضت عن الحيثيات والاعتبارات كلها ، انمحط السعة وأحكامها ، فإنه لا يقال في شيء الواحد الوحدة الحقيقة المستعملية على كل وحدة متعلقة وكثرة : إنه يسع شيئاً أو لا يسعه شيء ، إذ لا عدد ولا تفصيل ، فاعلم ذلك .

(13)

فك ختم الفص الوط

[1] / [13] إنما قرن الشیخ رضی الله عنہ هذه الحکمة بالصفة الملکیۃ مراعاۃ للأمر الغالب علی حال لوط علیه السلام وأمته، وما عامل الحق به قوله من شدیدة المقویۃ فی مقابلة الشدیدة التي فاساها لوط علیه السلام منهم حتی نطق لسان حاله معهم بقوله تعالیٰ: ﴿لَوْ أَنْ لِي يَكُمْ فُرْجٌ أَوْ مَأْوَى إِلَى رَبِّي﴾ [هود: 85].

[2] / [13] واعلم أن العقوبات الإلهیۃ كلها مجازاة لا يتبع منها شيء، إنداً أبداً؛ ومجازة الحق عبارۃ عن إظهار نتائج أفعال العباد، فإنه موجود على الإطلاق، والأفعال الصادرة عن الخلق مواد تتأججها ، فالنتائج بحسب المواد، فإذا كانت المواد متوفرة في القوة والكثرة كانت ظهور ثماراتها عظيمة شریفۃ، وإذا كانت - أعني المواد - ضعيفة القوۃ ويسیرۃ: تأخر ظهور النتیجة واستهلكت في ضمن قوہ أصادتها . وهذا من سر ما أشرت إليه في سر العفو والمغفرة ومحو الحسنة السیئة وسر التبدیل . وقد تقدم بيان ذلك كله في شرح الأحادیث الإلهیۃ، قالايات الباقيۃ من آثار المعاقبین سبیه وفور قوى أروا لهم الفیضة المستلزمة لظهور شراثتها الشدیدة الباقيۃ الآخر؛ فاعلم ذلك، فهذا سر هذه الحکمة.

(14)

فك ختم الفص العزييري

[14/1] اعلم أن الحق لا يعين من نفسه شيئاً لشيء أصلاً، صفة كان أو فعلاً أو حالاً أو غير ذلك، لأن أمره واحد وأمره الواحد عبارة عن التأثير الوحداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكناًت القابلة له والظاهرة به والمظهرة إياه، متعددًا متنوعاً مختلف الأحوال والصفات بحسب ما اقتضته حقائقها الغير المجعلة المتعينة في العلم الأزلي.

[14/2] فكان من مقتضى حقيقة عزير عليه السلام وأحكام لوازمهما انبعاث رغبة منه نحو معرفة سر القدر وانتباه فكره في القرية الخربة بصورة استبعاد إعادتها على ما كانت عليه. فأظهر الله له بواسطة فكره واستبعاده أنواعاً من صور الإعادة وأنواعاً من أحكام القدرة التابعة للعلم، التابع في التعلق للمعلوم، هذا وإن كان الأكثرون يظنون أن القدرة تابعة الإرادة وأن الإرادة تقتضي التخصيص؛ والكشف المحقق يعطي أن الإرادة ليس لها إلا تعين التخصيص الإلهي العلمي، لا أنها مبدأ التخصيص، كما أن العلم لا أثر له في المعلوم، بل المعلوم تعين تعلق العلم به على حسب ما هو المعلوم عليه في نفسه من التعين والجزئية لا غير، وهذه عمدة سر القدر.

[14/3] وقد زاد شيخنا رضي الله عنه بسطاً فلا حاجة إلى التصدي لإعادة الكلام فيه، هذا وإن كنت قد استوفيت الكلام عليه غير مرة في هذا الكتاب وغيره من تصانيفي وأتممت تقريره، الحمد لله، وسأنبه الآن على أحكام القدرة في أنواع المعاد وما أظهره الله في حال عَزِيز منها.

[14/4] فأقول: المعاد يقع على ضروب متعددة: أحدها إعادة الصورة المركبة من أجزاء مخصوصة بعد افتراق تلك الأجزاء وجمعها وعلى نحو

هيئتها الأولى وإعدادها لاتصال روحها بها اتصال تدبير مقوم لتلك الصورة ممكّن إياها من التصرف الذي يتقتضيه استعدادها واستعداد الروح من حيثها في جانب المنافع ودفع المضار الخصيّين بتلك الصورة وروحها.

[١٤/٥] وإلى هذا النوع الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّ نَجْعَلُ عِظَامَهُ بَلَى قَدِيرَنَا عَلَى أَنْ شُوَّهَ بَنَاهُ﴾ [القيامة: ٣، ٤] ونحو ذلك مما أشار إليه الشريعة بأن تلك الأجزاء محفوظة في معادنها إلى حين ورود الأمر بعودها إلى محل اجتماعها بالموجبات المقتضية اجتماعها أولاً، لكن اجتماع الأول موقوف على تعيين الأجزاء من الكليات، وهذا الاجتماع تأليف من أجزاء موجودة متعينة، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] إن إعادة التأليف من الأجزاء الموجودة المتعينة أهون من إنشاء أجزاء هي مستهلكة الوجود في الكليات ثم الشروع في تأليفها، وهو قوله: وهو أهون عليه، إنما بالنظر إلى نفس القضية من حيث هي، لا بالنظر إلى الحق سبحانه، فإنه لا يصعب ولا يتعارض عليه شيء.

[١٤/٦] والنوع الآخر من الإعادة وهو بطريق حراسة الصورة المركبة من انفكاك أجزائها - مع مفارقة الروح لها - لعدم استعداد الصورة لقيام الحياة بها، المستلزم لإقبال الروح على تدبير تلك الصورة؛ وميل هذا الروح لكماله، أكسب الصورة زمان تدبيره لها صفة من صفات البقاء الذي تقتضيه ذاته، فإن البقاء صفة ذاتية للأرواح، وأيضاً: فإن إعراض الروح عن تدبير الصورة التي فارقها وإقباله على مظهر آخر واستغراقه فيه حتى استلزم ذلك الإعراض انفكاك أجزاء تلك الصورة وتحللها؛ إنما ذلك لضعفه وعجزه عن الجمع بين الطرفين، أعني الجمع بين ملاحظة عالم الدنيا والعالم الذي انتقل إليه.

[١٤/٧] وأما أمثال هذه الأرواح الكلية المقدسة الكاملة - فإنها لا يشغلها شأن ولا يحجّبها عالم عن عالم، لأنها ليست محبوسة في

البرزخ، بل لها تمكن من الظهور في هذا العالم متى شاءت، فلم يعرض عن هذا العالم بكل وجه -: وقد تحققنا ذلك وشاهدناه ورأينا جماعة قد شاهدوا ذلك وكان شيخنا رضي الله عنه يجتمع بالنبي ﷺ ومن شاء من هذه صفتة من المتقلين إلى الدار الآخرة متى شاء من ليل أو نهار. وجربت ذلك غير مرة.

[14/8] وهذا النوع هو الذي أشار إليه بقوله ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»⁽¹⁾. وموجبه ما قلت من بركة مصاحبة الروح المقدس ذلك الجسد واكتسابه صفة من صفات بقائه، مع عدم إعراضه عنه بالكلية بعد مفارقته حالة تدبيره له. فمثل هذا الجسد المحروس من الانفكاك متى أمد بقوه وأمر بكسبه ضرباً من الاعتدال، اتصلت به الحياة واستعد لعود إقبال الروح عليه بالتدبير؛ وهذا النوع من الإعادة كانت إعادة عزيز عليه السلام.

[14/9] والنوع الآخر من الإعادة هو أن الصورة المركبة وإن انفككت أجزاؤها وتحللت الأعراض الالزمة، فإن جواهرها محفوظة عند الله في عالم من عوالمه يشهده أهل الكشف في أمر حامل لها، هو المعبر عنه بـ«عجب الذَّبِّ» وهو نفس جسمية تلك الصورة، لكن من حيث قيام الروح الحيواني وجميع قواه المزاجي بذلك الجزء الجسماني، ومتى شاء الحق بإعادتها ضم إلى تلك القوى جواهر تلك الأجزاء الجسمانية أعراضًا ملائمة لها شبيهة بالأعراض المتقدمة التي كانت حاملة لها، فالتآمت بها على نحو ما كانت عليه أو على نحو ما يتضمنه الوقت والحال الحاضر، وخاصية هذا الاجتماع الثاني وما يتصل به من نتائج الصفات والأحوال الناتجة من الاجتماع الأول والتدبير المتقدم، ومن هذا القبيل كان إعادة حمار عزيز عليه السلام.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (8681) [4/604] ورواه ابن ماجة في السنن، باب ذكر وفاته.. ، حديث رقم (8681) [1/524] ورواه غيرهما.

[10/14] ولهذا قال سبحانه : «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا» [البقرة: 259] فأظهر الله سبحانه وتعالى في هذا المقام ثلاثة أمور حاصرة لأقسام الحفظ : أحدها حفظ الصورة المعهودة عن سرعة تغيرها وعدم بقائها ، فحرسها عن التغيير وإبقاءها على ما كانت عليه ، وهذا شأن طعام عزيز وشرابه ، والصورة الثانية حفظ صورته من التحليل وانفكاك الأجزاء مع أعراض الروح المدبر لصورته - كما نبهت عليه من الموجبات المذكورة - والصورة الثالثة حفظ جواهر صورة حماره - إن تحللت أجزاؤها - ثم إنشاء أعراض آخر حاملة لتلك الجواهر شبيهة بالأعراض المتقدمة ، وتم الأمر وانحصرت الأقسام . فافهم ، هذا هو سر الحال العزيزي الذي لم يتبه الشيخ رضي الله عنه ، وما يتعلّق بسر القدرة فقد ذكره .

(15)

فك ختم الفص العيسوي

[15] اعلم أن لفظ النبي قد وردت بالهمزة وبدونه، فالهمزة هو مشتق من النبأ، وهو الإخبار، وبدون الهمزة هو من نبا ينبو، إذا ارتفع، ومراد شيخنا رضي الله عنه من أقرانه هذه الحكمة بالبوبة ليس بمعنى الإخبار، فإن كل من ذكره من الأنبياء في هذا الكتاب مشتركون في ذلك، وإنما مراده معنى الرفعة، وسأذكر معنى الرفعة وغيرها من الصفات الخصيصة بعيسي عليه السلام ما يسر الله ذكره، لكن بعد تقديم مقدمة كافية مشتملة على أسرار شتى، يستعان بها في فهم ما ذكره في شأن عيسى عليه السلام وأسرار رفعته.

[2] فأقول: اعلم أن الموجودات متفاوتة الدرجات في الشرف والخسة والنقص والكمال، فأي موجود قلت الوسائل بينه وبين موجوده أو ارتفعت وقلت فيه أحكام الكثرة الإمكانية وقويت نسبته من حضرة الوحدانية الإلهية كانت أشرف وأتم قرباً من الحق من حيث وحدانيته، وكثرة الوسائل وتضاعف وجوه إمكاناتها مع وفور الأحكام الإمكانية في الموجود يقضي بخسته ونزول درجته وبعد نسبته من حضرة الوحدانية.

وأما النقص والكمال: فهما بحسب وفور الجمعية بين الصفات الإلهية والحقائق الكونية، لأنها المستلزمة لوفور الحظ من صورة الحضرة الإلهية التي حذى عليها الصورة الآدمية والقرب من مرتبة المضاهاة أو بحسب نقصه - أعني نقص الحظ المذكور - فأي موجود كان أكثر استيعاباً للصفات الربانية والحقائق الكونية ظاهراً بها بالفعل، كانت نسبته من حضرة المضاهاة والخلافة الإلهية أقرب، وحظه من صورة الحضرة أوفر،

والأقل حظاً مما ذكرنا له النص.

[3/15] ثم إن درجات النقص والكمال تتفاوت بحسب قلة الجمعية الفعلية وكثرتها ، وبها تظهر النقائص والكمالات النسبية وتثبت المفاصلة بين الأنبياء والأولياء ، والمستوعب في كل عصر وزمان بالذات والمرتبة والعلم والحال والفعل بجميع الحقائق الأسماء الإلهية والصفات والحقائق الكونية وأحكامها المتصلة آخر كثرته . برزخ البرازخ الجامع بين الغيب الذاتي الإلهي الإطلاقي وأحكام الوحدانية الوجوبية وبين الحقائق والخواص الكونية وأحكامها الإمكانية على سبيل الحيطة ، له الكمال الذي تستند إليه مرتبة الخلافة الكبرى ، والوحدةانية التي تقرب النسبة منها يثبت الشرف لما ذكرنا .

[4/15] ثم ليعلم أنه ما من موجود إلا وارتباطه بالحق من وجهين : الوجه الواحد جهة سلسلة الترتيب والوسائل ، والجهة الأخرى لا حكم فيها لواسطة من الوسائل أصلاً ، والمحققون يسمون هذا الوجه : الذي لا واسطة فيه بين كل موجود وبين ربه بالوجه الخاص ، غير أن باب هذا الوجه مسدود عن أكثر الخلق من حيثهم : وقد نبه على ذلك النبي ﷺ في غير ما موضع من إشاراته ، فإنه كان يروي أحياناً عن جبرائيل ، وجبرائيل عن ميكائيل وميكائيل عن إسرافيل وإسرافيل عن الله تعالى ؛ وكان يروي أحياناً عن جبرائيل عن الله وكان يروي أحياناً عن الله تعالى - دون واسطة جبرائيل - ويقول : «قال لي ربِّي»⁽¹⁾ . ويقول أيضاً : «لي مع الله وقت لا يسعني فيه غير ربِّي»⁽²⁾ . ويقول : «أتاني ربِّي»⁽³⁾ ، ونحو ذلك .

[5/15] وإذا وضح هذا الأصل وما تقدم ذكره فاعلم : أن جبرائيل

(1) رواه ابن حبان في صحيحه ، ذكر ما يستحب للمرء إذا علم من أخيه . . . ، حديث رقم (3017) [7/287] ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ، من اسمه محمد ، حديث رقم (5572) [5/366] ورواه غيرهما .

(2) أورده العجلوني في كشف المخاء برقم (2159) [2/226].

(3) رواه الترمذى في سننه ، باب ومن سورة ص ، حديث رقم (3234) [5/367] ورواه الطبرانى في الكبير برقم (8003) [8/258] ورواه غيرهما .

وميكائيل وغيرهما - ما عدا القلم الأعلى - يأخذون عن الله بواسطة وبغير بواسطة، وكذلك الأكابر من الأنبياء والأولياء. ومن جملة ما أخذه جبرائيل عن الله بلا واسطة الكلمة الإلهية العيسوية التي ألقاها إلى مريم، وتلك الكلمة متحصلة من الحروف التي كان اجتماعها سبباً لوجود الأرواح وهي ثمانية حروف وиласعها التجلي النفسي الساري في كل موجود والموجب لظهور السر الإلهي المتعين بعيسى عليه السلام، وفيه هو معنيات تلك الحروف وأنها عبارة عن جملة أحكام الوجوب التي هي آثار الأسماء الذاتية وتوجهاتها بتجلّي الحق من حيث هي في مرتبة الألوهية، وتعيين ثمانية قابليات في المؤثر فيه - هو تاسعها - .

[6/15] فتلك ثمانية عشر ومظاهرها من الحروف هذا الترتيب : الباء والجيم والدال والهاء والواو والراء والباء والطاء والياء والكاف والميم والفاء والقاف والراء والناء والثاء والخاء والسين والظاء ، وسبب اختلاف وجود الأرواح وأحوالهم هو بحسب المرتبة التي يقع فيها الاجتماع بين توجهات الحقائق المذكورة وما يقابلها من قابليات حقائق الأعيان المؤثر فيها .

[7/15] وإذا علمت هذا فاعلم : إن الحروف الغير المنقوطة من هذه الثمانية عشر مظاهر توجهات الحقائق المذكورة ، والمنقوطة مظاهر قابليات الحقائق المؤثر فيها ؛ فافهم ، والله أعلم .

[8/15] وصورة تأليفها كلها كلمة هي حقيقة روحية عيسى عليه السلام ، وصورة عيسى مكونة من صيغة الكلمة الإلهية بالصفة الجبرائيلية ، وبسبب ثباتها في هذا العالم مدة هو مكتسب من سر طبيعة مريم ، ومبروك سراية القوة الطبيعية من مريم فيما نفخه جبرائيل من الكلمة هو خاصية التمثيل الجبرائيلي بشراً سوياً ، أي حسناً معتدلاً ، وحال الفعل هو من وجه شبيه بالاحتلام .

[9/15] ولما كان مقام جبرائيل بالسدرة والسدرة مقام برزخي ، لأنه متوسط بين عالم الطبيعة العنصرية وبين عالم الطبيعة الكلية - في مرتبتها

الثابتة المختصة بعالم المثال والعرش والكرسي وما اشتملوا عليه - لهذا كانت صورة جبرائيل التي جاء بها مشتملة على خواص ما فوق السדרة وما تحتها .

[15/10] وأما إحياء عيسى الموتى : فلغلبة السر الروحي المتعجن فيه .

[15/11] وأما الإِذن الإِلهي له : فعبارة عن تمكين الحق له من فعله ما فعل ، وذلك من آثار الأسماء الذاتية وتوجهاتها التي قلت إنها حروف كلامته وحلية صورته هي من النسبة الحاصلة من الصورة الجبرائيلية .

[15/12] ومن علم أن جبرائيل هو روح طبيعة عالم العناصر وما ظهر عنها - كالسموات السبع وما اشتمنت عليه العناصر هذا من المولدات - علم أن عيسى عليه السلام من وجهه هو صورة روحانية جبرائيل ومظهر مقامه عند السدرة الموصوفة آنفًا بالبرزخية ؛ كما أن مريم صورة الطبيعة الكبرى ، ويعرف أن فك له ختام ما ذكرت في هذا الفص لم كان عيسى عليه السلام روح الله وإلى أي اسم ينضاف من الأسماء التي يشتمل عليها الاسم الله ، وسأكشف القناع عن بقية أسرار أحواله الكلية إن شاء الله تعالى لتعرف بتوفيق الله وإرشاده من ذلك سر ختميته وسر كونه آخر الأولياء ما حظه من الجمعية الكبرى الخصيصة بالحقيقة الإنسانية الإلهية الكمالية المنبه عليها من قبل ؛ وأنبه على الحكمة التي يتضمنها نزوله ودخوله في دائرة الشريعة المحمدية وانصباغ ما يوحى به إليه حاليًّا بحكمها وصفاتها ، وتعرف من لوازم هذه الأحوال المذكورة من أسرار شؤونه وأحكامه زوائد أخرى ، تتضمنها التنبية المذكورة .

[15/13] فأقول بعون الله وتوفيقه وتأييده : وأما سر ختميته عليه السلام ثابتة من وجهين : أحدهما من جهة ما تضمنته الإشارة الإلهية بقوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَادَمَ﴾ [آل عمران : 59] فآدم عليه السلام أول مظهر بصورة الجمعية الحقيقة الإنسانية الإلهية التي بها ختم

الحق مراتب الإيجاد، وعيسى عليه السلام ظهر بصفة روح تلك الجمعية لا صورتها ، فإن صورته عرضية ومرتبتها مثالية ، فمماثلة عيسى لآدم عليهمما السلام ثابتة من حيث الجمعية والختمية؛ ولهذا عرف الحق سبحانه آدم في الآية أنه: ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] ليعلم أن المماثلة بين عيسى وآدم ليست من حيث المادة والخلقة، بل من وجوه أخرى ، كالذى نبهتك عليه من شأن الجمعية والختمية وغيرهما .

[14/15] ولما كانت روحية عيسى كليلة عامة الحكم بالنسبة إلى صورة الكون وأضافها الحق إلى نفسه لا بطريق التبعيض ، بل بطريق التشريف ، مع ما علم أن للروح بالنسبة إلى الصورة في التعيين والظهور مرتبة الآخريّة ، ولهذا توقف تعيين الأرواح الجزئية وتعلقها بالأبدان للتدبّير المستلزم للاستكمال ، على صورة المزاجية التي لها درجة الأوليّة ، علم أن ختم مرتبة الإيجاد الإنساني الذي ظهرت به الحقيقة الإنسانية الجامعية الإلهية إنما يكمل بالنفح الروحي؛ جزء بالنسبة إلى أفراد صور الأناسي ، وكلا بالنسبة إلى مطلق صورة الكون المعبر عنها أحياناً بظاهر الحق وأحياناً بتفصيل الصورة الإنسانية الحقيقية . ومن تتبع ما أسلفناه في هذا الكتاب في هذا الباب ووضح له بتأييد الله صحة ما سبقت الإشارة إليه .

[15/15] وأما الوجه الآخر المنبه على سر ختميته: فهو ما أشار إليه نبينا ﷺ في الحديث الثابت المتضمن جملة من آثار الساعة وأماراتها وفيه: أنه إذا قبض عيسى ومن معه من المؤمنين بريح يأتيهم من قبل الجنة، وفي رواية: «من قبل الشام ، وفي رواية: من قبل اليمن ، تأخذهم من تحت آباطهم فيماوتون فلا يبقى على وجه الأرض مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارون تهارش حمر الوحش في البرية ، لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً ، فعليهم تقوم الساعة»⁽¹⁾ . فإذا لم يبق يومئذ على وجه الأرض

(1) رواه مسلم في صحيحه ، باب ذكر الدجال... ، حديث رقم (2937) [2250/4] ورواه ابن ماجة في السنن ، باب فتنة الدجال... ، حديث رقم (4075) [1356/2] ورواه غيرهما .

مؤمن، فأحرى أن لا يبق ولني، فثبت ختميته من هذا الوجه أيضاً .
[15] وأما حظه من الجمعية الإنسانية: فصفة كلية من صفات روح الجمعية وهو الموجب لدخوله في دائرة الشريعة المحمدية وحكمه، فإن سر الأحكام الشرعية، الروحانية النسبة من حيث الملقي والملقى عليه، ولما قويت نسبته عليه السلام من روح الجمعية الإنسانية وجب دخوله في دائرة الشريعة الجامعة التي هي خاتمة الشرائع وانصباغ ما يوحى به إليه بصبغة الشريعة المحمدية . فافهم .

[16] وأما نزوله فلأمرتين: أحدهما تتميم أحكام روح الجمعية - كما نبهت على كلية ذلك - والأمر الآخر هو تنبيه على طلوع الفجر الآخراوي؛ ولهذا يحارب الدجال، فإن الدجال مظهر حقيقة الدنيا وحكم الحق فيها، ولهذا كان أعور عين اليمنى، فإنه عديم روح مرتبة الربوبية التي روحها الآخرة دار الحيوان؛ فالنزاع بين مظهر الدنيا والآخرة . ولما كان ذلك الوقت هو زمان طلوع الفجر الآخراوي وزمان موت الدنيا وذهابها، لزم أن يهلك عيسى الدجال ولزم أن يكون ذلك بباب «الد» من بيت المقدس، لأن ذلك ألد الخصم والنزاع والخصومة .

[17] فهذا بعض ما يسر الله ذكره من أسرار عيسى عليه السلام، فإن أسراره كثيرة والشروع في بيانها يفضي إلى التطويل، فاكتفيت بهذا، وسأذكر في فك ختم الفص المحمدي ما بقي من تتمة هذا الأصل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(16)

فك ختم الفص السليماني

[16] اعلم أن الرحمة تنقسم أولاً على قسمين: أحدهما الرحمة الذاتية والأخرى الرحمة الصفاتية؛ وكل واحد من هاتين الرحمتين تنقسم إلى قسمين: عامة و خاصة، فيصير أربعة أصول هي الأمهات، ثم يتفرع من هذه الأمهات ستة وتسعون فرعاً فتكون مائة، كما أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: إن الله مائة رحمة... الحديث⁽¹⁾.

[2] فقد نبه الحق سبحانه على ذلك بقوله في ألم الكتاب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿۲﴾ الْرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 1 - 3] فاللitan في البسمة هما الذاتية العامة وال خاصة، والlitan في الفاتحة هما الصفاتية العامة وال خاصة؛ وبباقي الرحمات متفرعة عن هذه.

[3] وإذا عرفت هذا فاعلم: أن الرحمة الخصيصة بسلیمان عليه السلام من الرحمة العامة الصفاتية ومن حكم الرحمة الذاتية التي وسعت كل شيء، فكان بحكمها أيضاً صفة العموم، ولهذا عم حكم سليمان وتصrفة في العالم، فسخر الله له العالم الأعلى والأسفل.

[4] وأما تسخيره له العالم السفلي فواضح، لتحكمه في الجن والإنس والوحش والطير وسائر الحيوانات البرية والبحرية، وتعدى حكمه إلى العناصر، فسخر الريح تجري بأمره وسخر له الماء يغوص له فيه الشياطين النارية، وهذا من أعظم تسخيرات الجمع بين ما من النار مع

(1) هذا الحديث سبق تخرجه.

الماء - مع تضاد طبائعهما - ولذلك نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿وَمَنِ اشْيَطَنِ مَنْ يَعْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَكْمًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأنباء: 82] فأخبر أن كل ما كانوا يعملون له فهو دون غوصهم - لما ذكرت من صعوبة الجمع بين الأضداد - وسخرت له الأرض أيضاً يتبوأ منها حيث يشاء.

[5/16] وأما تسخير الجن له العالم العلوى فواضح أيضاً عند المستبصرين، فإن كل ما تيسر له عليه السلام في هذا العالم فإنه من آثار تسخير الله له ذلك العالم وتعليمه إياه أسباب التصريفات. فافهم، فهذا من آثار حكم العام الخصيص بالرحمة العامة.

[6/16] وأما الرحمة الخاصة الذاتية فهي العناية والمسماة أيضاً بقدم صدق التي هي من آثار حب الحق بعض عباده، لا لموجب معلوم على التعين من علم أو عمل أو غيرهما من الأسباب والوسائل، وإليه الإشارة بقوله تعالى في حق الخضر: ﴿إِنَّمَا رَحْمَةُ اللَّهِ مَنْ عَنِّدَنَا وَعَلَمَنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

[7/16] وأما الرحمة الخاصة الصفاتية فخاصيص بالسعادة وينقسم حكمها إلى قسمين: قسم مؤقت وقسم غير مؤقت، فالمؤقت يختص بالسعادة في الدنيا الفائزين بنيل مراداتهم في غالب الأحوال والأوقات - دون الآخرة - ولهذا نبهنا الحق بما يفهم منه استثناء سليمان بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَقَ وَحْسَنَ مَقَابِ﴾ [ص: 45] فجمع له السعادتين فلم تكن سعادته مؤقتة، بل أبدية الحكم. فافهم.

[8/16] وأما حكم الرحمة الخاصة الغير المؤقتة فتحتفظ بأهل الجنة، لأن نعيمهم أبدى كما قال تعالى: ﴿عَطَاهُمْ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 158] فهو عطاء غير منقطع خالص من الأنكاد غير مشوب بالأمور المنقصة كما قال تعالى: ﴿فُلُّ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّيْنَتِ مِنَ الرِّزْقِ فُلُّ هِيَ لِلَّذِينَ ءامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: 32] فقوله: ﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: تنبئه على أنها وإن حصلت لمن حصلت له

من المؤمنين هنا، فإنها تكون مشوبة بالأنكاد والغচص لا تعطيه خواص هذا الموطن والنشأة الإلماشاجية، وإنما تخلص للسعادة في الجنة فإنها محل مقدس سليم من كل ما يوجب كدرًا أو نكداً، لأنها كما أخبر النبي ﷺ في الكرسي وسقفها عرش الرحمن المحيط بجميع الصور بإحاطة اسم الرحمن بجميع الموجودات - رحمةً وعلماً وحكماً - فافهم.

[16/9] وأما الكرسي فمظهر الاسم الرحيم الذي له التخصيص ومستواه، كما أن العرش مستوى الاسم الرحمن دون غيره وله العموم؛ وقد نبهت فيما مر على أن كل سماء من محل حكم اسم من أسماء الحق ومستواه، وإسناد تلك الأسماء إلى الحق إنما يكون من حقيقة ذلك الاسم، ومن مقامه تعين الأمر الموحى به إلى تلك السماء المشار إليه بقوله تعالى: «وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» [فصلت: 12] فتذكر فقد عرفتك انقسام الرحمة الذاتية إلى عامة وخاصة، وكذلك الصفاتية وعيتها لك وعرفتك أن الرحمة التي وسعت كل شيء هي الوجود، وأن الاسم الرحمن اسم للحق من كونه وجوداً محضاً منبسطاً نوره على الممكناة الموجودة، كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [النور: 35] ثم ذكر مراتب ظهورات النور وأمثلة مواد مظاهرها .

[16/10] فاعلم أن لهذا الوجود من حيث مبدأ انبساطه وتعيينه من غيب هوية الحق مراتب كليلة في التعين والظهور، أولها عالم المعاني، ثم عالم الأرواح التي نسبتها إلى مرتبة الظهور أتم من نسبة عالم المعاني، ثم عالم المثال المجسد للأرواح والمعاني، بمعنى أنه لا يظهر ولا يتغير فيه شيء إلا متجلساً، ثم عالم الحس الذي أوله صورة العرش المحيط بجميع الأجسام المحسوسة المحدد للجهات، وبه انتهى، أي استوى السير المعنوي الوجودي الصادر من غيب الهوية في مراتبه الكلية للظهور الذي غايتها عالم الحس، لأن تعينات الوجود وتنوعات ظهوره بعد العرش إنما هو تفصيل وتركيب. فوضح أن في العرش وبه تمت درجات الظهور - كما بينا - ولهذا أضيف الاستواء إلى

الاسم الرحمن دون غيره من الأسماء؛ لما مر من أن الرحمن صورة الرحمة التي وسعت كل شيء وانتهت ظهوراته الكلية في العرش.

[11] وأما الحكم العام الوجودي فإنه يظهر في كل مرتبة من المراتب الأربع الكلية المذكورة ويتفصل فيها إليها من المراتب التفصيلية بحسب تلك المرتبة، فإن فهمت ما نبهت عليه في فص هذه الحكمة السليمانية استشرفت على أسرار غريبة من جملتها سر الاستواء، فتلقاء صادقاً بمعنى التمامية في درجات السير المعنوي لتكميل مراتب ظهورات الوجود وبمعنى الاستيلاء الحكمي المنبث من العرش وبه وما فوقه من الملائ الأعلى في السموات والأرض وما فيها وما بينها، وعرفت بقية معاني الاستواء، عرفت أيضاً أن ما بعد العرش من صور الأحكام تفاصيل ظهورات الوجود وأحكامه، يجتمع في كل موجود منها جملة بحسب ما يقبله استعداده ويقتضيه سعة دائرته المعنوية.

[12] ولم يزل الأمر يتدرج في الجميع والظهور حتى انتهى الأمر إلى النوع الإنساني، فكان هدفاً لجميع القوى الطبيعية والأحكام الأساسية الوجوبية والتوجهات الملكية والآثار الفلكية ومحل جمعها، وقد سبق التنبيه على كل ذلك.

[13] لكن ينبغي لك أن تعلم أن انبساط هذه الأحكام والآثار والخواص تختلف تعيناتها وظهوراتها واجتماعاتها في عرض المرتبة الإنسانية بحسب درجات الاعتدال المتعينة بأمزجة الأناسي وفيها، وهي سبب تعينات مراتب أرواحهم، إن تفاوت تعينات الأرواح الجزئية الإنسانية هو بحسب التفاوت الواقع في درجات اعتدال أمزجة أربابها.

[14] ثم أقول: ولم تزل الأحكام والآثار المذكورة وخصائص الظهورات التعينة تبرز من الغيب إلى الشهادة ومن القوة إلى الفعل ومن حضرة البطون إلى حضرة الظهور في الطور الإنساني أيضاً، كالأمر فيما ذكر من قبل بالتدرج والحكم والفعل، حتى انتهي الأمر من الوجه المذكور إلى

داود سليمان عليهما السلام، وكان داود مظهر كليات تلك الأحكام الأساسية والصفات الربانية والآثار الروحانية والقوى الطبيعية مستجمعها ، فاستحق الظهور بمقام الخلافة وأحكامها وأحكام الحكمة وفصل الخطاب وورثه سليمان في الجمع زاد بالتفصيل الفعلي والحكم الظاهر الجلي والتسخير العام الكلي العلي .

[15/16] فما ظهر في الوجود أحد من الناس أعظم ملكاً ولا أعم حكماً منه ولا يظهر بعده، لأنه لما بلغ ظهور ما قدر الله ظهوره من أسرار الربوبية والأمور التي سبق ذكرها المضافة إلى الحق وإلى الكون من حضرة العلم إلى أقصى درجات الظهور المعلومة عند الله، وقع التحجير بإجابة دعوته ، فعادت هذه الأمور بعد كمال ظهورها راجعة من حضرة الظهور إلى حضرة البطون بنحو من التدرج الواقع في أزمنة بروزها من حضرة البطون إلى حضرة الظهور ، فإنه ما ثمة إلا ظهور من بطون أو بطون من ظهور ، فما نقص من الباطن أخذه الظاهر وبالعكس .

[16/16] ولما كانت نسبة حكم الرحمة العامة الخصيصة بحال سليمان عليه السلام إلى حقيقة الرحمة العامة نسبة الصفة إلى الموصوف مع اشتراكهما أيضاً في الحيطة وعموم الأثر ، وكان ما أعطيه سليمان عطاء ممزوجاً من حقيقة الرحمة وحكمها ، فتوقف ميل ما منحه على الدعاء الذي هو من سر حكم الرحمة باعتبار امتياز الصفة عن الموصوف ونزولها عن درجة الموصوف بها ومن حيث إلهام الحق إيهاد الدعاء وإجابته لدعائه وإنكار الحق له بقوله: ﴿فَأَمْنِنَّ أَوْ أَمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39] هو سر الرحمة الذاتية العامة ، فافهم .

[17/16] فهذا ما قدر الله ذكره من أسرار أحوال سليمان عليه السلام مما لم ينبه عليه شيخنا رضي الله عنه ، ولو بسطت القول في بيان أسرار أحواله ما اطلعت عليه لطال الكلام ونبت عنه الأفهام ، فليكتفي الألباء بما يسر الله ذكره ، والله المرشد .

(17)

فك ختم الفص الداودي

[17/1] اعلم أن كثيراً مما عزّمت بمشيئة الله تعالى على ذكره في سرح هذا الفص هو من وجه كالستمة لما ذكر في بيان أسرار أحوال سليمان، فإن بين أسرار أحوال سليمان وداود عليهما السلام اشتراكاً عظيماً قد نبه الحق سبحانه في كتابه عليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15] بما حكاه من سليمان حيث قال: ﴿يَأَتِيهَا الْنَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الْطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 16] فاشترك معه إياه فيما رزقه، وكذلك شرك الحق بينهما في طلب الشكر ولذلك: ﴿وَفَالَا لَحْمُدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَلَّنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15] فاشتركا في الأمر والحكم أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَدَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي الْحَرَثِ﴾ [الأنباء: 78] وبقوله: ﴿وَكُلَّا ءَائِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنباء: 79]؛ فافهم.

[17/2] وذلك سر إقران شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالوجود حيث قال: فص حكمة وجودية في الكلمة داودية، فكأنه أشار إلى شيء مما أوضحته من سر الوجود وسيره في درجات ظهوره وكونه عين الرحمة التي وسعت كل شيء.

[17/3] فأقول: قد بينا أن الرحمة ذاتية وصفاتية وأن لكل منها حكماً عاماً وخاصاً، وذكرنا حكم العام الخصيص بالرحمة العامة واحتراصه بسليمان وما يتعلق بذلك كله مع زوائد شتى.

[17/4] فاعلم أن الحكم الخاص - المضاف إلى الرحمة العامة الصفاتية - من الخلافة الإلهية، فظهرت أحکامها في المراتب الوجودية بالتدرج بحسب مظاهر حقيقة الإنسانية الكمالية الإلهية، المتهي كمال

ظهورها إلى الصورة الآدمية التي هي أكمل مظاهرها، ولما كانت مظاهر المقدمة على الصورة الآدمية غير مستعدة لأن يظهر بها وفيها الحقيقة الإنسانية ظهوراً تاماً، كان ظهور أحكام مرتبتها المعبر عنها بالألوهية هناك وبالخلافة هنا أيضاً كذلك، ولا تم ظهورها بآدم عليه السلام، صار لها ظهور وسir وبسط آخر في عرصة العرض الإنساني، ولهذا أشرت في الفص السليماني إلى ما معناه: أن بروز الوجود وأحكامه من الغيب إلى الشهادة كان بالتدريج حتى انتهى الأمر إلى النوع الإنساني، فصار ذلك الظهور على وجه آخر مخصوص، ثم لم يزل يظهر الأمر بسير آخر في مراتب الاعتدال التي يتضمنها عرض النوع الإنساني، فإن الخلافة لم تبسط حكمها تاماً بآدم - لقلة وجود المستخلفين عليهم - فلم يكن ثمة من تبسط عليه أحكام مرتبته إلا طائفة يسيرة من ذريته، ولهذا لم تتضمن خلافته مرتبة الرسالة، بل بقيت فيه بالقوة وفيما خلف من ذراريه والمتناصلين منهم بعده إلى زمان نوح عليه السلام الذي هو أول المرسلين.

[5/17] ثم نقول: مما برحت أحكام الخلافة من حيثها ومن حيث مرتبة المستخلف يزداد ظهوراً وانبساطاً - كالوجود - حتى انتهى الأمر إلى داود عليه السلام، فتم بوجوهه مرتبة الخلافة وانبسطت أحكامها في الوجود بحسب درجات الأكمالية بعد استيفاء ما هو شرط في حصول مقام الكمال، وكمل انبساط الأحكام والصفات المذكورة بابنه سليمان، وقد ورد التنبيه على ذلك في القرآن الكريم، أعني ثبوت الاشتراك بينهما في الحكم والعلم وغير ذلك على ما ذكر في أول الفص، فلينظر هناك، فأشار سبحانه إلى ما منحه ومنح ابنه مما زادا به على من تقدمهما من الخلفاء من العلم وانبساط أحكام الخلافة ونفوذها وعموم التأثير في الخلق.

[6/17] ومن جملة ما رجحت به خلافة داود على خلافة آدم: أن حظه من الأسماء على ما صرح به كان علمه بها؛ وأما داود: فتحقق بها علماً وحالاً وعملاً، فأما علماً: فقد سبقت الإشارة إلى ذلك، مع أنه لا

يخفى على الألباء أن أعظم الشروط في التحقق بمرتبة الخلافة وأولها وأولاها هو العلم. وأما تتحققه من حيث العمل : فإن خبر النبي ﷺ عنه أنه كان أعبد أهل الأرض ، وأما تتحققه بها ، أعني بالأسماء حالاً : فكون الحق سبحانه قدر له تزويع تسعه وتسعين زوجة ، ضرب مثال الأسماء الحسنى ، ولما أراد أن يتم عنده المائة ، مع أن المتم للمائة هو الاسم الله باعتبار دلالته على الذات والمرتبة .

[17/7] وذلك لما رأى من قوة قابلية لكل ما تشتمل عليه الحضرة ، فإن من شأن الكمال أن كل ما هو متunder الحصول لأحد من الحق ، هو عندهم بالنسبة إلى كمال قابلتهم غير متunder ولا مستحيل ، إلى أن يخبرهم الحق بأخبار مخصوصة خارج عن خواص المواد والوسائل ، فحينئذ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالة حصول ذلك الأمر - كحال موسى عليه السلام في طلب الرؤية على وجه مخصوص - فلما أخبر بتunder ذلك ، تاب وآمن .

[17/8] ولما كان الأمر الذي به تتم مظهرية المائة متunder الحصول لذاته من حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ﴾ [النساء : 48] لهذا نبهه الحق على ذلك بما أبدى له من حيث الأمثلة التي رواعي فيها الأدب التام مع مرتبته ، تعظيمًا للمرتبة تنبيهاً له ، ليعرف أن الله قد أقامه في مرتبة أول من قام بحق أدبها من أقامه فيها ، كما قال تعالى أيضًا بلسان البشرة مع الأدب والتعریف : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَعَّمْ أَلَهَوْيَ فَيُضَلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص : 26].

[17/9] فلسان الأدب في هذه الآية قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، وإلا لكان الأنسب من مقتضى المواجهة له أن يقول : إنك إن ضللت عن سبيل الله فلك عذاب شديد ، فخرج من خطاب المواجهة إلى المغایبة - معرضًا لا مصرحًا - فتنبه وتذكر ما ذكرت لك تعرف رجحان خلافة داود على

خلافة آدم بما نبهت عليه آنفًا وبالحكم بين الناس أيضًا، لأنه ليس في خلافة آدم التصریح بالحكم؛ وأيضًا فإنه حين أعطى الخلافة لم يكن ثمة من الناس من يحكم عليه؛ وأما الجن؛ فلم يكن منهم إلا إبليس الذي أبى أن يسجد له أولاً وأزاله وزوجته ودلاهما بغرور ثانياً - بخلاف داود وسليمان عليهما السلام - فإنه نفذ حكمهما في الجن والإنس وغيرهما من الموجودات، فكان الجن والشياطين محاكمين لهم بين: ﴿بَئْرَاءُ وَغَوَّاصٍ ٢٧﴾ وَأَخَرِينَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: 37 - 38] فشتان بين الأمرين.

[17/10] ومما يؤيد ما ذكرته من رجحان خلافة داود وسليمان على خلافة آدم وعلو مرتبهما في العلم ونيل الهمة ما ورد في الحديث الثابت الإسناد: إن الله خير سليمان بين العلم والملك والمال، وفي رواية بدل المال النبوة، فاختار العلم⁽¹⁾. فأعطاه الله الملك والمال والنبوة لاختياره العلم. وأما آدم: فإن الله أسرجه له الملائكة بأجمعهم وأدخله الجنة وقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا بَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمُؤُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: 118، 119] ومع ذلك لما سمع قول إبليس: ﴿مَا تَهْنَكُمَا رِبِّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِيْنَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْحَلَّادِيْنَ﴾ [الأعراف: 25] صدقه هو وزوجته وانفعلا لقوله.

[17/11] وهذه القضية تشتمل على أمرين مشكلين لم أر أحدًا تنبه لهما ولا أجابني أحد من أهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو: أنه عليه السلام بعد سجود الملائكة له بأجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وتعلم الأسماء والخلافة ووصية الحق له، كيف أقدم على المخالفه وتشوف بقول إبليس إلى أن يكون ملكاً، وكيف لم يعلم أن من دخل جنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها، وأن النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد لذاتها فهي تقتضي الخلود؟

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة برقم (2957) [192 / 2].

[12/17] فكان هذا الحال يدل دلالة واضحة على أن الجنة التي كان فيها ليست الجنة التي عرضها السموات والأرض والتي عرضها الكرسي الذي هو الفلك الثامن وسقفها عرش الرحمن. فإن تلك الجنة لا تخفي على من دخلها أنها ليست محل الكون والفساد ولا أن يكون نعيمه مؤقتاً ممكناً الانقطاع، فإن ذلك المقام يعطي بذاته معرفة ما تقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمه بممات أو غيره كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجُودٍ﴾ [هود: 108] أي غير منقطع ولا متناهٍ، فافهم ما نبهت عليه من غرائب العلوم وغواصيه ترشد.

[13/17] فحالة آدم وحواء عليهم السلام في هذه القضية كحالبني إسرائيل الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿أَشَبَّلُوكُمْ الَّذِي هُوَ أَدْفَأَ إِلَيْكُمْ هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] ولهذه المناسبة والمشاركة أردف الحق قصة آدم في سورة البقرة بقصة موسى وبني إسرائيل - مع ما بينهما من طول المدة - فراعي سبحانه في ذلك المضاهاة في الفعل والحال - دون الزمان - فافهم سر هذا من أسرار القرآن.

[14/17] فإن القرآن العزيز ورد فيه ذكر جماعة من الأنبياء في مواضع كثيرة وسردت أسماءهم في موضع بترتيب مخصوص، ثم ذكرروا في موضع آخر بترتيب مخالف للترتيب الأول بمعنى أنه قدم ذكر من آخر ذكره في الترتيب الأول وأخر من قد كان قد ذكره من قبل، وذكروا في موضع ثالث ورابع بترتيب غير الترتيب المقدمة هكذا في مواضع شتى مخالف بعضها بعضاً.

[15/17] والسر فيه هو: أنه روعي من موضع ذكرهم بحسب تفاوت مراتبهم ودرجات ما فضل به بعضهم على بعض المشار إليه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] وتارة روعي في ترتيب ذكرهم تقدمهم وتأخرهم الزماني، وتارة روعي في ترتيب ذكرهم مشاركتهم في الفعل والحال المذكورين في السورة أو القصة، فالأقرب

شبهاً ونسبة يكون هو المقدم في الذكر الأنسب فالأنسب إلى الأمر المذكور. وتارة يراعي فيها الاشتراك في الشرائع وأحكامها، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا كُلٌّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشَرِبَهُمْ﴾ [البقرة: 60] فإذا كثرا اتفاق الأحكام المشروعة بين نبيين وثبتت تقدم أحدهما ورجحانه، تلاه في الذكر الأقوى مشاركة له في أحكام شريعته.

[16/17] فاعلم ذلك واستقره تجده مطرد الحكم، كما نبهت عليه في أرداف قصة آدم بقصة موسى وبني إسرائيل، وهذه النكتة وإن وقع ذكرها هنا من وجه بالعرض، فإنها مفتاح شريف يفتح به جملة من أسرار ترتيب آيات القرآن وقصصه وسوره وأياته، إن تم الاطلاع على أصله ومحنته. فافهم والله الهادي.

(18)

فك ختم الفص اليونسي

[18/1] أعلم أن كل نبي وولي ما عدا الكمل منهم فإنه مظهر حقيقة كلية من حقائق العالم والأسماء الإلهية الخصيصة بها وأرواحها الذين هم الملا الأعلى، على اختلاف مراتبهم ونسبهم من العالم العلوي، وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: إن آدم في السماء الأولى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة ويونس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة؛ ومن المستعين أن أرواحهم غير متحيزة، وليس المراد من ذلك إلا التنبيه على قوة نسبتهم من حيث مراتبهم وعلومهم وأحوالهم ومراتب أئمهم إلى تلك السماء التي كانت أحوالهم هنا صور أحكامها، أعني أحكام المراتب والسموات، ومن هذا الباب ما يذكره الأكابر من أهل الله في اصطلاحهم بالاتفاق: يأتي من الأولياء من هو على قلب جرائيل، ومنهم من هو على قلب ميكائيل، ومنهم من هو على قلب إسراويل - على جميعهم السلام - ونحو ذلك.

[18/2] وإذا تقرر هذا فاعلم: أن سر تسمية شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالحكمة النفسية هو من أجل أن يونس كان مظهراً للصفة الكلية التي تشتراك فيها النفوس الإنسانية، ومثالها من حيث تدبيرها للأبدان العنصرية وأحواله عليه السلام صور أحكام تلك الصفة الكلية وأمثالها بحسب ما تقتضيه مرتبته واستعداده.

[18/3] وبعد تقديم هذه القاعدة أقول: لما كانت النفوس في الأصل منبعثة عن الأرواح العالية الكلية المسماة عند الحكماء بالعقل، وللنفوس

الإنسانية شبه قوى بتلك الأرواح من وجوه شتى : من جملتها البساطة ودؤام البقاء ، ظنت أن تعلقها بالأجسام من حيث التدبير والتحكم لا يكسبها تقيداً وتعشقاً ، وأنها متى شاءت أعرضت عن التدبيرات بصفة الاستغناء ، وكانت كالأرواح العالية التي انبعثت عنها وذهلت عن نزول درجتها عن درجة تلك الأرواح في هذا الأمر وعن عدم استغنائها عن التعلق والتدبير .

[4/18] فلما ألفت الأبدان وانصبغت بأحكام الأمزجة حتى أثرت فيها ، كما أثرت هي في المزاج وتعشقت بها واشتد تقيدها بصحبة البدن ، أراها الحق عجزها وصورها عن البلوغ إلى درجة من أو جدها الحق بواسطته ، ورأت فقرها وتعشقها فرجعت متوجهة إلى الحق بصفة التضرع والابتهاج والافتقار الذاتي من الوجه الذي لا واسطة فيه بينها وبين الحق ، فأجاب الحق نداءها وأمدتها من لدنـه بقوـة ونور استشرفت به على ما شاء الحق أن يطلعها عليه من حضراته القدسية ولطائف أسراره العلية ، فانعكس تعشقها إلى ذلك الجناب الأقدس واتصلت به وحصل لها بذلك الاتصال الرافع لأحكام الوسائل ما أوجب انتظامها في سلك أولي الأيدي والأبصار ، وانفتح لها بـاب كان مسدوداً فصار تدبيرها مطلقاً غير مقيد بصورة بعينها دون صورة ، بل حصل لها من القوة والكمال ما تمكنت به من تدبير صور شتى في الوقت الواحد ، دون تعشق وتقيد .

[5/18] وربما ألبستها العناية عزاً اتفق به أن تقف في مراتب الأرواح العالية وتكون كهي ؛ لما رأـت من حـسن ما تـجلـى لـها من وراء بـاب الـوجهـ الخاصـ الذي فـتح لـها بـينـها وـبـينـ موـجـدهـا وـما استـفادـتهـ من رـبـهاـ منـ تلكـ الجـهةـ ، وـسـرىـ منـ بـرـكةـ ماـ حـصـنتهـ إـلـىـ صـورـتـهاـ التـيـ كـانـتـ مـقـيـدةـ بـتـدـبـيرـهاـ قـوـىـ وـأـنـوارـ سـارـيةـ مـتـعـدـيةـ فـيـ الـمـوـجـودـاتـ عـلـوـاـ وـسـفـلـاـ وـصـارـتـ حـافـظـةـ بـأـحـديـةـ جـمـعـهـاـ مـنـ حـيـثـيـةـ تـلـكـ الصـورـةـ التـيـ كـانـتـ مـقـيـدةـ بـتـدـبـيرـهاـ صـورـةـ الـخـلـافـ الـوـاقـعـ وـالـثـابـتـ فـيـ الـمـوـجـودـاتـ صـورـةـ وـمـعـنـيـ ، روـحـاـ وـمـثـلاـ .

[6/18] وإذا فهمـتـ ماـ أـدـرـجـتـهـ فـيـ هـذـهـ الـمـقـامـاتـ فـاعـلـمـ : أـنـ يـوـنـسـ

عليه السلام من حيث أحواله المذكورة لنا في الكتاب العزيز مثل ارتباط الروح الإنساني بالبدن، والحوت مثال الروح الحيواني الخصيص به، والسر في كونه حوتاً هو لضعف صفة الحياة فيه، فإن الحوت ليست له نفس سائلة، كذلك حيوانية الإنسان ذات حياة ضعيفة، ولهذا تقبل الموت، بخلاف روحه المفارق، فإن صفاته ثابتة أبدية، واليم مثال عالم العناصر، ووجه شبهه باليم هو أن تراكيب الأمزجة المترکونة من العناصر غير متناهية.

[18] وأما موجب النداء والإجابة وسر قوله تعالى: ﴿فَظَرَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنباء: 87] فقد سبقت الإشارة إليه آنفاً عند الكلام على أحوال النفوس المدببة للأبدان. وأما سر قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: 147] فإنه إشارة إلى أهمات حقائق العالم وقواه وأنه على عدد الأنبياء وهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً، فإن كلنبي ووارث من الأولياء مظهر حقيقة كلية من حقائق العالم والأسماء - كما أشرت إليه في أول هذا الفصل - .

[18] وأما سر قوله تعالى: ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَزْنِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: 98] فهو مثال ما ذكرته في فص عزير عليه السلام: النفوس الكامل بركة تسري في أجسادهم وقواهم فيحصل لها ضرب من البقاء ولا تنحل صور أجسادهم - وإن فارقتها أرواحهم - بل يبقى إلى زمان ابتداء انتشاء النشأة الآخرافية، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»⁽¹⁾، وهذا ما يسر الله تعالى ذكره من أسرار اليونسية وأحواله المذكورة، فتدبره والله الهادي .

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الأحوال، حديث رقم (8681) / 4 [604] ورواه ابن ماجه في السنن، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، حديث رقم (1636) [524] / 1 ورواه غيرهما .

(19)

فك ختم الفص الأيوبي

[19/1] اعلم أن في تسمية هذه الحكمة بالحكمة الغيبة سرين كبيرين أنبه إليهما إن شاء الله تعالى ، فالسر الأول منها : هو أن المحن والبلايا من حيث صورتها مؤلمة بالنسبة إلى جميع الناس غير ملائمة لنفسهم وطباعهم ولا يصبر عليها إلا من قويت نسبته من العوالم الغيبة وجزم بحسن نتائجها وثمراتها المرضية ، لتصديقه الإخبارات الإلهية والنبوية ، أو لاطلاعه على العوالم التي وراء الحس ، فيهون ذلك عليه الصبر على مضض المحن لما يعلمه أو يرجوه من حسن العاقبة وإيجناته ثمرات ما يقاسيه من المكاره ، وعلى كلا التقديرتين فالنفع مغيب والعقاب مشهود حاضر .

[19/2] والسر الآخر هو أن الإنسان وإن جزم عن إيمان محقق أو عيان ، أن للصبر على المحن ثمرات مرضية ، فإنه لا يلزم من ذلك رجوع ما ذهب عنه بعينه فكيف أن يعاد إليه عين ما تلف ومثله معه في الدنيا؟ وكلا السرين تضمنها حال أیوب عليه السلام .

[19/3] وقد فتحت لك باب هذا المقام فلنج فيه إن كنت من أهله ، إنك إن ولجت فيه استشرفت على جملة من أسرار التكاليف وأسرار العبادات الشاقة البدنية والنفسانية وفائدة التحرير على أنها وسر المجازاة عليها في الآخرة ، وفي الدنيا دون الآخرة ، وفي الدنيا والآخرة معاً ؛ وعرفت الفرق بين المواهب الإلهية الواردة إبتداءً وليس لكسب فيها مدخل وبين ما تتوجه المكاسب في ظاهر الإنسان وباطنه وغير ذلك مما يتعلق بهذا الباب .

[19/4] ثم اعلم : أن البلاء والمحن التي تلحق بالأنبياء والأكابر من أهل الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، لكل قسم منها موجب وحكم وثمرة : فتارة

يكون بالنسبة إلى البعض مصاقيل لقلوبهم ومتتممات لاستعداداتهم الوجودية المجعلة، ليتهيئوا بتلك الأمور لقبول ما يتم به لهم أذواق مقاماتهم التي حصلوها ولم يكمل لهم التحقيق بها، فيكون تلبسهم بتلك المحن سبباً لاستيفائهم ذوق مقامهم الناقص وترقيهم فيه إلى ذروة سنانه الموجب الاطلاع على ما فيه، فإنه من لم يتكلم على المقام -أي مقام كان- ولم يترجم عنه بطريق الحصر لأصوله والاستشراف على جملة ما فيه، فإنه إنما يتكلم على ذوقه من ذلك المقام ليس بحاكم عليه ومحيط به، فافهم.

[19/5] موجب القسم الثاني هو سبق علم الحق بأن المقام الفلامي سيكون لزيد لا محالة، مع علم الحق أيضاً أن حصول ذلك المقام لمن قدر حصوله له لا بد وأن يكون للكسب فيه مدخل، فلا تتحضر الموهبة الذاتية فيه، فإن ساعد القدر الإلهي والتوفيق بارتکاب الأعمال التي هي شروط في حصول ذلك المقام، كان ذلك، وإن لم يساعد القدر ولم يف العمر باستيفاء ذلك المشرط ارتکابها للتحقق بذلك المقام، أرسل الله المحن على صاحب المقام ورزقه الرضاء بها والصبر عليها وحبس النفس فيها عن الشكوى إلى غير الله والاستعانة في رفعها بسواه، فكان ذلك كله عوضاً عن تلك الأعمال المشرط فيها ذكرنا وقائمة مقامها، فحصل للمقام المقدر حصوله عليها.

[19/6] فإن الصبر والرضا والإخلاص لله - دون الالتجاء إلى غيره وطلب المعونة من سواه - كلها أعمال باطنة يسري حكمها في الأحوال الظاهرة - كالنية ونحوها - فاعلم ذلك وتدبر ما ذكرت لك تعرف كثيراً من أسرار محن أيوب عليه السلام وما ابتلي به وثمراته .

[19/7] وأما موجب القسم الثالث فهو سعة مرآة حقائق الأكابر المضاهية للحضررة الإلهية المترجم عنها بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَنَّدَنَا حَزَّا إِنْهُ﴾ [الحجر: 21] فمن كانت مرآة حقيقته أوسع، كان قبوله مما في الحضررة وحظه منها أوفر، فكما أن حظهم مما يعطي السعادة وينشر

مزيد القرب من الحق سبحانه والاحتفاء بعطياته الاختصاصية أوفر، فكذلك قبول ما لا يلائم الطبع والمزاج العنصري الذي به تمت الجمعية وصحت المضاهاة المذكورة يكون أكثر. فافهموا هذا، قد أوضحت لك أسرار المحن والبلايا المختصة بالأكابر محصورة الأقسام.

[19/8] وأما الخصيصة بعموم المؤمنين: فهي وإن كانت من بعض فروع القسم الأول، لكن أخبرت الشريعة بأحكامها وثمراتها، فلا حاجة إلى بسط القول في ذلك، لا سيما بعد استيفاء بيان ما خفي من أسرار الحال الأيوبي عليه السلام لمن تذكر ما ذكرنا.

(20)

فك ختم الفص البحيوي

[20/1] اعلم أن موجب تسمية هذه الحكمة بالحكمة الجلالية أمران: أحدهما يختص بحال يحيى عليه السلام والآخر يختص بذاته وصفته واسمها، فلنبدأ بذكر ما يختص بذاته وصفته واسمها فنقول: قد ثبت أن الحق سبحانه ذو الجلال والإكرام، ومن أسمائه الجليل، وليس في الوجود موجود يستهلك كثرة صفاتة وأسمائه في وحدة ذاته بحيث يضم محل لذاتها كل عدد ومعدود إلا الحق سبحانه، فمن عنايته بشأن يحيى عليه السلام - وإن جعل له من هذا الكمال نصيباً - فأنزله منزلة نفسه، فأدرج اسمه وصفته في وحدة ذاته، ولم يفعل ذلك بغيره، ومن وجد قبله.

[20/2] فشرفه بذلك وبال الأولية التي هي من أهمات نعوت الحق وشرفه أيضاً بأن آتاه الحكم صبياً وبالبشرى بحسن الخاتمة هنا وفيما بعد الموت والمحشر بقوله تعالى: «وَسَلَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلُدُّ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبَعْثَرَ حَيَاً» [مريم: 15] وهذا من نوع ما نبهت عليه في فك ختم الفص الصالحي في الحاشية من أن كل ما تكون نسبته إلى الحق من حيث الأسباب الباطنة أقوى، كانت إضافته إلى الحق أقوى وأتم.

[20/3] وحصول الولد بين المرأة العاقرة والشيخ الغاني يبعد إضافته إلى الأسباب المعتادة الظاهرة، وكان صمت أبيه ثلاثة الأيام وأمر الحق له بالذكر والتسبيح وأمره قومه أيضاً بالتسبيح بكرةً وعشياً سبيلاً لتكميل استعداده الذي قبل من الحق الحكم والحنان والزكوة في حال صباه، كما كان صمت

مريم أحد الأسباب المعينة بإذن الله في نطق عيسى، لأن مدار أمر الوجود على الظهور والبطون، فما نقص من الباطن أخذه الظاهر وتقوى به وبالعكس أيضاً، فافهم تصب إن شاء الله.

[4/20] وأيضاً فليعلم أن الهمة من الأسباب الباطنية، وأول الأسباب في وجود يحيى استحسان الله حال مريم سلام الله عليها، فتوجه بهمته ملتجئاً إلى ربه بدعائه، فاستجاب له ربها ورزقه يحيى، ولو لا وجود أبيه زكريا وإصلاح الحق زوجته له لخرج يحيى مثل عيسى يتكلم بالحكمة في المهد، لكن لما كان حكم الطبيعة في مثل هذا الأمر أقوى من حكم الروحانية، وكان الأمر في قضية عيسى بالعكس، تأخر ذلك إلى عهد الصبي.

[5/20] والأمر الآخر من الأمرين المشار إليهما هو أنه ينبغي لك أن تعلم أن الصفات تنقسم بنحو من القسمة إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات حالية، فالصفات الذاتية واضحة عند الأكثرين، وأما الصفات الحالية: كالغضب والرضا والقبض والبسط ونحو ذلك.

[6/20] وهذه الصفات الحالية في اصطلاح أهل طريق الله ترجع إلى ثلاثة أصول: أحدها مقام الجلال والآخر مقام الجمال والآخر مقام الكمال، فلمقام الجلال الهيبة والقبض والخشية والورع والتقوى ونحو ذلك، ولمقام الجمال الرجاء والبسط والأنس واللطف والرحمة والنعيم والإحسان ونحو ذلك، ولمقام الكمال الحيطة بالجلال والجمال وتوابعهما من الأحوال والجمع بين كل ذلك وسواء.

[7/20] وكان الغالب على ظاهر يحيى الأحوال الجلالية، فلذلك سمي شيخنا رضي الله عنه حكمته بالحكمة الجلالية؛ وورد في الحديث ما هذا معناه: أن يحيى وعيسى عليهما السلام تفاوضاً، فقال يحيى لعيسى كالمعاتب له - لبسه - : كأنك قد أمنت مكر الله وعداه؟ فقال له عيسى: كأنك آيت من فضل الله ورحمته؟ فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إلى

أَحَسِنْكُمَا ظَنًّا بِي⁽¹⁾. فَهَذَا مَا يُسْرِ اللَّهُ ذِكْرُهُ مِن التَّنْبِيَهِ عَلَى سُرِّ الْحِكْمَةِ
الْيَحِيوِيَّةِ وَحَالِهِ وَصَفْتِهِ، فَتَدْبِرْ تَرْشِيدٌ إِن شَاءَ اللَّهُ.

(1) أورده البروسوي في روح البيان، سورة مريم، آية 32.

(21)

فك ختم الفص الزكرياوي

[21/1] اعلم أن سر وصف حكمته بالحكمة المالكية من أجل أن الغالب على أحواله كان حكم الاسم المالك، لأن الملك الشدة والملك الشديد، وأن الله ذو القوة المتين، فأيده الله بقوة سرت في همته وتوجهه، فأثمرت الإجابة وحصول المراد، وقد نبهتك على أن الهمة من الأسباب الباطنة وأشارت قبل ذلك إلى أن الأسباب الباطنة أقوى حكماً من الأسباب الظاهرة المعتادة وأحق نسبة إلى الحق، ولهذا كان أهل عالم الأمر أتم قوة من أهل عالم الخلق وأعظم تأثيراً.

[21/2] وأيضاً فليذكر قصة: «وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» [الأنياء: 90] فإنه لو لا إمداد الحق زكريا وزوجته بقوة غيبة ربانية خارجة عن الأسباب المعتادة ما صلحت زوجته ولا تيسر لها الحمل منه؛ ولهذا لما بشره الحق بيحيى استغرب ذلك وقال: «رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَمْ وَكَانَتِ أَمْرَأَيِّ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيَّا» [مريم: 8] وأجابه الحق بقوله: «فَالَّذِي كَانَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلٍ وَلَقَرْتَكُ شَيْئاً» [مريم: 9] أي: وإن كان حصول مثل هذا من جهة الأسباب الظاهرة صعباً - بل متعدراً - فإنه بالنسبة إلى ذي القدرة التامة والقوة والمثانة هين. ثم إنه كما سرت تلك القوة من الحق في زكريا وزوجته تعدد منها إلى يحيى، ولذلك قال له الحق سبحانه: «يَعِيشَ حُنْدِ الْكِتَبِ بِقُوَّةٍ» الآية [مريم: 12] فاعلم ذلك، فهذا سر الفص الزكرياوي.

(22)

فك ختم الفص الإلياسي

[1/22] إنما أضيفت هذه الحكمة بالصفة الإنسانية من أجل الصفة الذاتية التي جبل الله بها إلياس حتى ناسب بها الملائكة وناسب بها الأناسي، فثبتت له الأنس مع الطائفتين فكانوا يأنسون به ويجلسون إليه، وكان هو أيضاً أنيسهم وجليسهم، والسر فيما ذكرنا الذي لا يطلع عليه إلا الندر من عباد الله هو أن بين قوى الأرواح العالية والقوى المزاجية الإنسانية امتراجات على أنحاء يحدث بينهما فعل وانفعال وغلبة ومغلوبية يتنهى إلى كيفيات معقوله شبيهة بالامتحان الواقعة في هذا العالم، مثل استحالة الماء هواءً والهواء ناراً ونحو ذلك.

[2/22] فمن الأناسي المتروجين من يتنهى في تروحنه إلى الرتبة الملكية فتستهلك قواه المزاجية الطبيعية في قوى روحانية ثابتة الحكم بحسب استيلاء سلطنة تلك القوى الروحانية على القوى الطبيعية، كصورة الاستحالات في عالمنا هذا، وهذا وصف بعض من هذا شأنه، وظهور من هذا شأنه في هذا العالم إنما هو كظهور الملك هنا بشراً سوياً، والرأيي لمن هذا شأنه إنما يراه بموجب حكم إحدى المناسبات الخمس التي سبقت الإشارة إليها، فإن ثبتت المناسبة بين الرأيي والمرئي من حيث الذات: يراه في صورته الأصلية التي كان عليها قبل تروحنه، وإن لم تثبت المناسبة بينهما من حيث الذات، كانت رؤيته له بحسب المرتبة التي تجمعها في الأصل أو بحسب الصفة التي يشتراكان فيها، أو الفعل أو الحال، وكيفية الصورة المرئية يكون بحسب كمال الصفة المشتركة فيها ونقصانها، وكذلك الفعل والحال.

[22/3] وأما الاشتراك في المرتبة: فيتفاوت الأمر فيها بحسب تفاوت حظوظها منها ، وهذا شأن الخضر عليه السلام ، وعكس ذلك شأن عيسى عليه السلام ، فإن نسبته ملكية ، فظهوره في الصورة الطبيعية هو من أجل أمه التي كانت محل الإلقاء والنفخ ؛ لما بينا من أن كينونة كل شيء في شيء إنما يكون بحسب المحل ، سواء كان المحل معنوياً أو صورياً . واذكر ما أشار الحق سبحانه إليه في كتابه: ﴿وَهُوَ مَعْلُومٌ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4] فأدخل نفسه مع عباده في الأمكانة ، مع أنه متزه عن الزمان والمكان . وقوله ﷺ: «إن العبد إذا قام يصلني فإن الله ينصب له وجهه تلقاه»⁽¹⁾ ، ونحو ذلك مما تكرر ذكره في الكتاب والسنة . وتذكر أيضاً ما اتفق عليه المحققون من أن تجلى الحق لمن تجلى له إنما يكون بحسب المتجلى له ، لا بحسبه ؛ وتذكر أيضاً شأن المرأة مع ما ينطبع فيها .

[22/4] وأما الياس عليه السلام فإنه لما كانت الممازجة الحاصلة بين القوة الروحانية والطبيعية قبل تروحنه واقعة على وجه قريب من التساوي ناسب الملا الأعلى والأسفل فتأتى له الإنس بهما ، والجمع بين صفتיהם فهو كالبرزخ بين النشأة الملكية والنشأة الإنسانية ، فلهذا كان جاماً بين أحکامهما .

(1) هذا الأثر لم أجده بلغظه فيما لدى من مصادر ومراجع .

(23)

فك ختم الفص اللقمانى

[1/23] أعلم أن سر أقران هذه الحكمة بالصفة الإحسانية هو من أجل أن للإحسان ثلات مراتب، بين أحکام المرتبة الأولى وبين أحکام الحكمة اتحاد واشتراك، فهما بين ذلك الوجه كالأخوين، فإن حكم الأول ومقتضاه هو فعل ما ينبغي كما ينبغي ومقتضى الحكمة وضع الشيء في موضعه على الوجه الأوفق وضبط الحكيم نفسه، ومن يقدر على ضبطه من التصرفات الغير المرضية والأقوال الغير المفيدة والآراء والتصورات الفاسدة والوصايا وجميع النصائح والأداب المعلمة المتعلمة، داخلة في أحکام هذه المرتبة الإحسانية الأولى المختصة بهذه الحكمة.

[2/23] وأما المرتبة الثانية: فهي التي سأل عنها جبرائيل النبي ﷺ بقوله: «ما الإحسان؟ فأجابه ﷺ: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»⁽¹⁾، وأنه عبارة عن استحضار الحق على نحو ما وصف نفسه به في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام دون مزج ذلك بشيء من التأويلات السخيفة بمجرد الاستبعاد وقصور إدراك العقل النظري عن فهم مراد الله من إخباراته وجنوحاً إلى الأقىسة وتوهم التشبيه والاشتراك في الصفات.

[3/23] والمرتبة الثالثة الإحسانية تختص على المشاهدة دون كأن، كما قيل لبعض الأكابر: هل رأيت ربك؟ فقال: لم أعبد رباً لم أره، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلوة»⁽²⁾، وبقوله ﷺ:

(1) هذا الحديث سبق تخریجه.

(2) رواه الحاکم في المستدرک، کتاب النکاح، حديث رقم (2676) [2/174] ورواه البیهقی في السنن الکبری، باب الرغبة في النکاح، حديث رقم (13232) [7/78] ورواه غيرهما.

«الصلوة نور»⁽¹⁾؛ ولهذا كان إذا دخل الصلوة كان ينظر من ورائه مثل ما ينظر من بين يديه ، ولم يرد إن هذا الحال كان مستصحباً في غير الصلوة ، وإلى هذا المعنى الإشارة في الآية التي هي في سورة لقمان وهي : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: 22] أي : ومن ينقاد ببرمة ذاته إلى الله وهو مشاهد ﴿فَتَدِ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَنِّيَّةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22].

[23] وهكذا فليعلم أن لكل صفة من هذه الصفات ثلاث مراتب : أولى ووسطى وعليا ، وتذير قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا آتَقُوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ آتَقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ آتَقُوا وَأَحَسَّوْا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93] وتبنيه بختم الآية بذكر الإحسان وإقران محبة الحق بالمحسنين ، وتذكر ما سلف ذكره في مراتب الإحسان ولا تقتصر في فهم كلام الحق على ما ورد في أسباب نزول هذه الآية من أنها وردت جواباً للصحابية لما قال بعضهم : كيف حال من مات قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها؟ فإن هذه الآية وإن تضمنت جوابهم فإن ذلك لا يلزم منه أن لا يكون لها دلالة على أمور آخر ، وتذير قوله ﴿إِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ مِّنَ الْقُرْآنِ ظَهِراً وَبِطْنَا وَحْدَأَ وَمَطْلُعاً... إِلَى سَبْعَةِ أَبْطَنِ﴾⁽²⁾ . وفي رواية : سبعين بطناً . فتفهم تصب .

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، باب فرض الطهور . . ، حديث رقم (186) [1/42] ورواه الطبراني في الكبير برقم (309) [1/141] ورواه غيرهما .

(2) أورده الغزالى في الإحياء وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (إحياء علوم الدين ، الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الإرشاد . . [1/99].

(24)

فك ختم الفص الهاروني

[24/1] اعلم أن الإمامة المذكورة في هذا الموضع ومثله فإنما تذكر باعتبار أنها لقب من ألقاب الخلافة ولها التحكم والتقدير، وهي تنقسم من وجه إمامية لا واسطة بينها وبين الحضرة الإلهية وإلى إمامية ثابتة بالواسطة؛ والخالية عن الواسطة قد تكون مطلقة عامة الحكم في الوجود وقد تكون مقيدة، بخلاف الإمامة الثابتة بالواسطة، فإنها لا تكون إلا مقيدة، والتعبير عن الإمامة الخالية عن الواسطة مثل قوله للخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124] والتي بالواسطة مثل استخلاف موسى عليه السلام هارون على قومه حين قال له: ﴿أَخْلَقْتِنِي فِي قَوْمٍ﴾ [الأعراف: 142] ومثل ما قيل في حق أبي بكر أنه خليفة رسول الله ﷺ.

[24/2] وهذا بخلاف خلافة المهدي عليه السلام، فإن رسول الله ﷺ لم يضف خلافته إليه، بل سماه خليفة الله وقال: «إذا رأيتم الرایات السود تقبل من أرض خراسان فأتوها ولو حبوا، فإن فيها خليفة الله المهدي»⁽¹⁾. ثم قال: «يملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»⁽²⁾. فأخبر بعموم خلافته وحكمه وأنه خليفة الله بدون واسطة. فافهم.

[24/3] ثم نرجع إلى بيان إمامية هارون وسر إضافة حكمته إلى الإمامة، فنقول: كل رسول بعث بالسيف فهو خليفة من خلفاء الحق وأنه

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8531) [4/547].

(2) رواه الطبراني في الكبير برقم (10214) [10/133].

من أولي العزم، فإن كثيراً من الناس لم يعرفوا معنى أولى العزم، هم الذين يبلغون رسالات ويلزمون من أرسلوا إليهم بالإيمان، فإن أبوا قاتلواهم، بخلاف الرسالة إذا تقربوها الرسول لم يؤمر بالقتال، فإنه ما عليه إلا البلاغ، كما كان الأمر في أول عهد نبينا عليه السلام المنبه عليه في سورة قل يا أيها الكافرون وفي قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبُلَغُ﴾ [آل عمران: 20] وفي قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ﴾ [الكهف: 29] وأمثال ذلك مما تكرر ذكره - بخلاف الحال فيما بعد - فإنه ورد الأمر بالقتال وانسحب الحكم وانبسط على الأموال والمهج، فنزل: ﴿وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبه: 36] ﴿وَأَقْتَلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: 91] ونحو ذلك.

[4/24] وإذا وضح هذا فأقول: لا خلاف في أن موسى وهارون عليهما السلام بعثا بالسيف، فهما من خلفاء الحق الجامعين بين الرسالة والخلافة، فهارون له الإمامة التي واسطة بينه وبين الحق فيها، وله الإمامة بالواسطة من جهة استخلاف أخيه إيه على قومه، فجمع بين قسمي الإمامة فقويت نسبته إليها، فلذلك أضيفت حكمته إلى الإمامة دون غيرها من الصفات. فاعلم ذلك، والله المرشد.

(25)

فك ختم الفص الموسوي

[1/25] اعلم أن سر إضافة هذه الحكمة إلى الصفة العلوية هو من أجل علو مرتبة موسى عليه السلام ورجحانه على كثير من الرسل بأمور أربعة: أحدها أخذها عن الله بدون واسطة ملك وغيره.

[2/25] والثاني كتابة الحق له التوراة بيده، فإن كتابة التوراة أحد الأمور التي باشرها الحق بنفسه دون واسطة، على ما أخبرنا به النبي ﷺ في تعين ما باشره الحق بنفسه فقال: «إن الله كتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق آدم بيديه»⁽¹⁾.

[3/25] الثالث قرب نسبته من مقام الجمعية التي خص بها نبينا ﷺ المشار إليه بقوله تعالى: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» [الأعراف: 145] وباعتبار الحق به لما وفر حظه من عطايا اسمه الظاهر، أراد أن يريه طرفاً من أحكام الاسم الباطن للجمع بين الطرفين - ولو من بعض الوجوه -.

[4/25] فببه على شرف الخضر عليه السلام وسوقه إلى لقائه، ثم أذن له في المشي إليه وجمع بينه وبينه فصحبه حتى رأى نموذجاً من أحكام

(1) هذا النص هو مجموع عدة أحاديث نبوية شريفة هي: عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى اسمه كتب التوراة بيده فيها عشر كلمات أمره بهن... «رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول [4/19] بلفظ: إن الله خلق جنة عدن بيده لبنيه من ذهب ولبنية من فضة» الحديث. وأورده الهيثمي فى مجمع الزوائد (ج 10 / ص 397). وعن قتادة قال: قال كعب: إن الله تعالى خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواه ابن المبارك فى الزهد (ج 1 / ص 512).

الإرادة، فعلم الفرق بينها وبين أحكام الأمر، غير أنه غلت عليه صبغة التشريع وحالها ، فلم يصبر كما قال ﷺ: «رحمه الله علينا وعلى موسى، ليته صبر حتى يقص علينا من أنبائهما»⁽¹⁾. وفي رواية أخرى متافق على صحتها أيضاً: «لو صبر لرأي العجب ولكن أخذته من صاحبه ذمامه»⁽²⁾... الحديث.

[25] وعلى الجملة فإنه لو لم يكن من الفائدة في اجتماع موسى عليه السلام بالخصر إلا علمه بأن العلم الذي كان حصل له وكان يراه الغاية وأن ليس بعده ما هو أشرف منه بما أراه الحق: إن الله وراء ما أعطاه من العلم علوماً وأسراراً يهبهما لمن يشاء من عباده، فلم يبق له بعد ذلك وقوف عند الغاية، لكان كافياً.

[26] وأما الأمر الرابع الذي ثبت به رجحانه على كثير من الرسل فأخبار نبينا ﷺ في حديث القيامة حال عرض الأمم عليه ﷺ أنه لم ير أمةنبي من الأنبياء أكثر من أمة موسى، قوله ﷺ أيضاً في حديث اليهودي لما قال: والذي اصطفى موسى على البشر ولطم الصحابي له، قوله: تقول هذا رسول الله بين أظهرنا؟ فلما اشتكي اليهودي إلى رسول الله ﷺ قال: لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش فلا أدرى أجوزي بصعقة الطور أو كان من استثنى الله تعالى⁽³⁾.

(1) روى نحوه الترمذى في السنن، باب ومن سورة الكهف، حديث رقم [3149/5] [309]. ورواه ابن ماجة في السنن، كتاب الفتنة، حديث رقم [3929/2] [1295] ورواه غيرهما.

(2) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم [2380/4] [1850] ورواه النسائي في السنن الكبرى، قوله تعالى «فَلَمَّا جَاءُوكَمَّا قَالَ لِفَتَنَةً» [الكهف: 62] حديث رقم [11307/11] [387/6].

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في الإشخاص . . . ، حديث رقم [2279/2] [849] ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي فقال يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضر بي؟ قال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى =

[25/7] فهذا بعض ما أعرفه من كمالاته الموجبة إضافة حكمته إلى الصفة العلوية، وسأذكر في شرح الحديث الذي يتضمن ذكر قصة اجتماعه مع الخضر عليه السلام وما جرى بينهما وما تتضمنه تلك القصة من الأسرار الربانية والعلوم الغيبية وفي شرح الحديث المتضمن ذكر موته واتيان ملك الموت وفقاً عينه، وما أخبر في ذلك ما يسر الحق ذكره وشاء بيانه، والله يقول الحق.

على البشر قلت أيُّ خبيث، على محمد ﷺ فأخذتنـي غضـبة ضـربـت وجـهـه فقالـ النبي ﷺ لا تخـيرـوا بـيـنـ الـأـنـبـيـاءـ فإنـ النـاسـ يـصـعـقـونـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـأـكـونـ أـوـلـ مـنـ تـشـقـ عـنـهـ الـأـرـضـ فإذاـ أـنـا بـمـوـسـىـ آـخـذـ بـقـائـمـةـ مـنـ قـوـائـمـ الـعـرـشـ فـلـاـ أـدـريـ أـكـانـ فـيـمـ صـعـقـ أـمـ حـوـسـبـ بـصـعـقـةـ الـأـولـىـ . =

(26)

فك ختم الفص الخالدي

[26/1] اعلم ان للاسم الصمد معنيين: أحدهما باعتبار ان الصمد هو الذي لا جوف له، والآخر هو بمعنى القصد والاتجاء، والمراد هنا معنى القصد والاتجاء، والسر فيه أن خالداً لم يظهر حكم نبوته مع قومه في الحس - لمخالفتهم إياه - فأوصاهم ان يقصدوا قبره بعد موته بستة، فإذا مر بهم قطيع من الغنم فيه حمار مقطوع الذنب نبشوه من قبره فيخبرهم بما شاء الحق فيما أطلعه عليه، فلم يُمَكِّن بنوه من ذلك فلم تظهر أحكام نبوته، فكانت نبوته برزخية - كما أشار إليه شيخنا رضي الله عنه - وتفصيل قصته مذكورة في الحديث والأخبار، ولما لم يظهر أحكام نبوته في هذا الموطن، لم يعتبره نبينا ﷺ، لذلك كان يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، فإنه ليس بيبي ونبيه نبي»⁽¹⁾. فاعلم ذلك، والله المرشد.

(1) رواه بنحوه الحاكم في المستدرك، ذكر النبي الله وروحه عيسى . . ، حديث رقم (4153) [2/648] ورواه بلفظه ابن أبي شيبة في المصنف، ما ذكر في فتنة الدجال، حديث رقم (37525) [7/498] ورواوه غيرهما .

(27)

فك ختم الفص المحمدي

[27/1] لقد لقب شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالحكمة الكلية والحكمة الفردية، ولكل واحد من اللقبين سر ستره من هذه القاعدة المنبه على سر الكمال المحمدي ومحنته وسر جمعيته وختميته ونسبة حظوظ الأنبياء وأياتهم إلى آياته وحظه من الحق، وبهذه القاعدة أختتم الكلام على ختوم هذه الفصوص إن شاء الله تعالى.

[27/2] فأقول : اعلم أن كل شيء فإنه مظهر من مظاهر الحق ، لكن من جهة حيّة مخصوصة واعتبار معين ، فيتعين للحق من حيث ذلك الاعتبار وتلك الحيّة بما يوجد بهما من الممكّنات اسم من شأنه ان لا يستند ذلك الموجود إلى الحق إلا من حيث ذلك الاعتبار وتلك الحيّة ، وهكذا هو شأن كل موجود مع الحق ، غير أن الفرق بين الأنبياء والأكابر من أهل الله وغيرهم : أن الأنبياء والأكابر مظاهر الأسماء الكلية التي نسبتها إلى الأسماء التي يستند إليها بقية الموجودات ، وعموم الناس ، نسبة الأجناس والأنواع إلى الأشخاص ، ثم كما أنه بين الأجناس والأنواع تفاوت في الحكم والحيطة ، كذلك هو الأمر في مقام المفضّلة بين الأنبياء والأولياء ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام في حديث القيامة : أنه يجيء النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجال ، والنبي ومعه الرجل الواحد ، والنبي وليس معه أحد⁽¹⁾.

(1) رواه أحمد في المسند عن عبد الله بن عباس ، برقم (2448)[1/271] ونصه ابن عباس عن النبي عليه السلام قال عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلين والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فقلت هذه أمتي فقيل هذا موسى وقومه ولكن =

[27] والسر فيما أشرت إليه هو من أجل أن كل نبي وولي ما خلا نبينا صلوات الله عليه وسلم والكامل من ورثته إنما يستند إلى الحق ويرتبط به من جهة حيادية معينة واعتبار مخصوص يسمى اسمًا من أسماء الحق، وذلك أن الحق من حيث إطلاق ذاته وصرافة وحدته ووحدة فيضه الذاتي لا يرتبط به شيء ولا يستند إليه موجود ما من الموجودات - كما سبقت الإشارة إلى ذلك غير مرة - وقارن الأكابر من أهل الله أن يتنهى ارتباطهم بالحق صعداً إلى التعين الأول، التالي للأحدية الذاتية الجامع للتعيينات كلها المضافة إلى الحق باعتبار وحدانيه من حيث إنها مشرع الصفات والأسماء، ويسمى بعضهم بأحكام الوجوب التي هي نتائج الحيثيات والاعتبارات .

[27] والمضافة أيضاً إلى مرتبة الإمكان من حيث أحكام المعلومات الممكنة المعددة بتقييداتها الإمكانية المتكررة واستعداداتها المتفاوتة المختلفة للوجود الواحد الفائز من الحق بالوجود الذاتي المطلق الذي لا يتعين له موجب بتحققه أحد من الأنبياء والأولياء إلا الكامل منهم .

[27] و شأن نبينا صلوات الله عليه وسلم والكامل من ورثته مع التعين الأول الذي قلت إنه مشرع الصفات والأسماء مخالف لشأن غيرهم، فإن هذا التعين ليس هو غايتهم من كل وجه في معرفة الحق واستنادهم إليه، بل هم متفردون بحال يخصهم لا يعرفه بعد الحق سواهم ولا يذكرونه لأحد إلا لمن اطلعوا على أن ذلك الشخص لا بد له أن يصير إنساناً كاملاً، فينبهونه على هذا ومثله تربية له ،

=

انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم ثم قيل انظر إلى هذا الجانب الآخر فإذا سواد عظيم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض النبي صلوات الله عليه وسلم فدخل فخاض القوم في ذلك فقاتلوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلمائهم الذين صحبو النبي صلوات الله عليه وسلم وقال بعضهم لعلمائهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج إليهم النبي صلوات الله عليه وسلم فقال ما هذا الذي كنت تخوضون فيه فأخبروه بمقاتلتهم فقال لهم الذين لا يكترون ولا يستردون ولا يتظيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشه بن محسن الأسيدي فقال أنا منهم يا رسول الله فقال أنت منهم ثم قام الآخر فقال أنا منهم يا رسول الله صلوات الله عليه وسلم سبّقك بها عكاشه .

مع أن هذا أيضاً إنما يمكن وقوعه من كامل مكمل مقدر له تربية كامل مكمل على يديه وتربيته، وهذا هو أكمل شؤون الحق لكونه أكمل ما ظهر بيايجاده من إنشاه على صورة حضرته واستخلفه على خليقته، فافهم.

[27] ثم أقول في إتمام ما التزمت كشف سره وبيانه: وقد أشرت فيما مر أن كل نبي هو مظهر اسم من أسماء الحق، وأن نبوته ورسالته إنما تعيين وتستند إلى الحق من حيصة ذلك الاسم.

[27] فاعلم أيضاً أن آيات كل نبي، متعددة كانت الآيات أو واحدة، فإنها عبارة عن أحكام الحق الاسم الذي تستند إليه رسالته ونبوته، وهذا سر من أطلعه الله عليه عرف سبب تفاوت درجات الأنبياء والأولياء ومراتبهم في الولاية والنبوة والرسالة، وسر قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] وأن تلك المفاضلة وإن ثبتت على أنحاء فلبيست من حيث نفس الرسالة، كما قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِنَا﴾ [البقرة: 285] في صحة استنادها إلى الحق لوحدة الرسالة من حيث حقيقتها، وإنما التفاوت في مشرعها واستنادها إلى أي صفة أو اسم يستند من صفات الحق وأسمائه ولا خفاء في تفاوت مراتب الصفات وأسماء في سعة الحكم والحيطة والتعلق وقوة التأثير - كما أشرت إليه في غير ما موضع - ونبهت على أن الخالق والباريء والمصور والقابض والواسط وأمثالها كالسدنة للاسم القادر، وتأثير القادر مع إحاطته بما ذكرنا من الأسماء فإنه تابع للمريد - كتبعية المريد للعالم - .

[27] فمراتب الأسماء - كما نهت عليها - متفاوتة، فبعضها كالأناس وبعضها كالأنواع وبعضها كالأشخاص - على نحو ما مر - ومتى فهمت هذه القاعدة واستحضرتها: عرفت أن كل نبي أتى بأية تختص بأصل من أصول العالم، فإن استناد نبوته إلى الحق ثابت من حيصة الاسم الذي يستند إليه ذلك الأصل، كاختصاص نوح عليه السلام في الماء وإبراهيم عليه السلام بعمارة الكعبة وبالنار وبشهاد كيفية التركيب المطلق

الكلي العنصري، فإنه يفضل غيره بسعة الدائرة والحكم، لقرب نسبته من حضرة الجمعية الإحاطية التي انفرد بها نبينا ﷺ، فالأقرب نسبة إلى مقام جمعيته، أعلى نبوة وأتم حيطة.

[27/9] وتدبر أيضاً أحكام نبوة موسى عليه السلام وآياته كالنار والعصا والشجر والماء والحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وسر انتهاء آياته في العدد التسع التي هي متنه بسائق الأعداد بخلاف هود عليه السلام، الذي كانت آيته الريح فقط.

[27/10] وانظر اختصاص نبينا ﷺ بالكلام وبعموم رسالته وبعثته وبكونه جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً؛ وبانشقاق القمر وبكونه أöttى علم الأولين والآخرين وبالختمية ونحو ذلك، واتصال حكم شريعته بالقيامة.

[27/11] واعلم أني لو شرعت في إيضاح هذه الأسرار لطال الكلام، ولكن سأذكر نموذجاً ترقى به بعد تأييد الله وتوفيقه إلى الاطلاع على ما لم تعهده من ذوق أحد من المتقدمين ولا لعمري سطر في كتاب، والحمد لله المنعم. ولنبأ بإذن الله بذكر سر آية نوح عليه السلام الذي هو أول المرسلين وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ونختم عن ختم الله به نبوة التشريع ورسالة محمد ﷺ.

[27/12] فأقول أولاً: قد اتفق المحققون من أهل الله أن اللبن والماء والعسل والخمر مظاهر علوم الوهب، وتأييد كشفهم واتفاقهم من حيث الظاهر بالإخبارات النبوية الصحيحة والآثار الثابتة الأسانيد المتكررة الذكر في السنن وفي تعبير الرؤيا وفي أحاديث الحوض والأسرار وغيرها - مع التجارب المتكررة المذكورة في الواقع - .

[27/13] وإذا تقرر هذا فاعلم: أن مبدأ أحكام الله في خلقه ووجب ارتباطهم به ومشروع تعلقه بهم إنما هو علمه الأزلية الذاتي المتعينة صور المعلومات فيه أولاً وأبداً على و蒂ة واحدة، وأنه السبب الأول في

إيجاد ما أوجده الله، وقضاؤه سبحانه وقدره تابعان لعلمه، فتعلق علمه بالمعلومات ثابت بحسب ما تقتضيه حقائقها ، لأن تعلق كل علم بكل معلوم تابع للمعلوم - كما سبقت الإشارة إليه غير مرة - ولما كانت المبدئية في الحكم على الخلق والتعلق بهم إنما تثبت بالعلم وكان الماء مظهراً للعلم، لزم من حيث كمال الحكمة الإلهية أن يكون أول آية المرسلين الآتي بصورة حكم الحق في خلقه بموجب علمه الماء . فهذا سر آية نوح عليه السلام.

[27] ولما كانت صفة الكلام صورة من صور العلم ونسبة من نسبة وحصة منه ، كيف قلت وهي «كن» وبها افتتح بابتأثير الحق في الخلق ، ظهرت الموجودات من العلم إلى العين على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها واستمرار آثارها - دنيا وآخرة - كانت آية نبينا ﷺ الكلام ، وكما عم حكم الكلام كل ما قدر الله تعالى وجوده من المعلومات في هذا العالم وحده بقوله للقلم الأعلى : «أكتب علمي في خلقي إلى يوم القيمة»⁽¹⁾ ، كذلك عم حكم شريعته جميع الخلق والشائع واتصل بالأخرة ، بخلاف غيره من الأنبياء ، فإن رسالاتهم وشرائعهم جزئية مقيدة متناهية الحكم ، ولعموم حكم شريعته جعلت الأرض كلها مسجداً له ولأمته وترابها طهوراً ، واندرجت في أحکام رسالته رسالة من مضى من الرسل ومن بقي منهم كعيسى والياس عليهما السلام ، وكذلك الأمر في نبوته التي يدخل فيها الخضر عليه السلام ، هذا وإن اختلف قوم محظيون في الاعتراف بنبوة الخضر عليه السلام ، فإن أكابر المحققين لا خلاف بينهم في ذلك .

[27] وأما سر انشقاق القمر له وظهوره بصورة التصرف فيه فهو : إن فلك القمر وإن كان أصغر الأفلاك من حيث الجرم ، فإنه أجمعها من حيث الحكم ، لأن فيه تجتمع قوى سائر السموات وتوجهات الملائكة ، ثم ينبع

(1) ثرواه أبو الشيخ في العظمة برقم (32) [2/588] ونصه عنده : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «خلق الله عز وجل اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ، اكتب علمي في خلقي ، فجرى إلى ما هو كائن إلى يوم القيمة» .

منه ويتوزع على هذا العالم وأهله، ولهذا كانت هذه السماء سماء الخلافة ظهر لأولي الأ بصار حال اطلاقهم على سر انشقاق القمر سر جمعية نبينا ﷺ وختميته، لأنه لما كان آخر الرسل وأجمعهم تصرف في آخر الأفلاك وأجمعها للقوى والخواص العلوية وتصرف في هذا العالم وأعطي مفاتيح خزائن الأرض والسماء⁽¹⁾ - كما أخبر بذلك قبل موته بخمسة أيام - فراد على كل من أعطى التصرف في شيء من هذا العالم على تعين بإطلاق التصرف دون غيره.

[27/16] وكما لاتها الدالة على جمعيته كثيرة، وأعظمها المستور في هذا العالم والمنكشف في الآخرة، كما أشار إليه في حديث القيمة في فتحه باب الشفاعة؛ قوله أيضاً: «فأقوم عن يمين العرش عند ربِّي في مقام لا يقوم فيه أحدٌ من العالمين غيري»⁽²⁾؛ قوله: «أنا سيد الناس يوم القيمة»⁽³⁾، وذكره تفصيل ذلك.

[27/17] ومن المتفق عليه شرعاً وعقلاً وكشفاً: أن كل كمال لم يحصل الإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له ذلك بعد الموت في الدار الآخرة، فهذه الكلمات المشار إليها كلها كانت حاصلة له هنا، كتمها لما يقتضيه حكم هذه المواطن الذي هو عالم الستر ويظهر في الآخرة **﴿يَوْمَ تُبَلَّى السَّرَّايرُ﴾** [الطارق: 9] فإنه عالم الكشف وزمان المباهاة.

[27/18] ومن جملة ما اختص به كمال الخلة الخارقة كل حجاب ولها درجة المحبوبة، فإن الخلة لها مرتبان، غاية إحداهما كمال المجاورة مع بقاء الحجاب المعبر عنها بقولهم:

(1) هذا الحديث سبق تخرجه.

(2) رواه الطبرى في ذخائر العقى في مناقب ذوى القربي، ذكر اختصاصه بحمل لواء الحمد في ظل العرش...، [1/75].

(3) رواه البخارى في صحيحه، باب **﴿ذُرِّيَّةً مَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾** [الإسراء: 3] حديث رقم (4435) [4/1745].

وتخلىت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
[27] وقد أخبرنا بالفرق بين مرتبتي الخلة بقوله عليه السلام في الأدعية
 المستجابة المذكورة في حديث الإسراء⁽¹⁾ - حال ترددك بين موسى وربه في
 طلب التخفيف من الصلة ومراجعته ربه ثلث مرات - قول الحق له

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب المراجع، حديث رقم (3674) [1410] ونصه
 كاملاً: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن النبي صلوات الله عليه حدثهم عن
 ليلة أسرى به بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فقد قال
 وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقتلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من
 ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بسطت من
 ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بداهة دون البغل وفوق الحمار
 أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه
 فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء
 ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم
 قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من
 هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم
 المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسي وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسي
 فسلم عليهم فسلمت فرداً ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى
 السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل
 إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف
 فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى
 أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد
 أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال
 هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم
 صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا، قال جبريل قيل ومن معك قال
 محمد صلوات الله عليه قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا
 هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي
 الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل من
 معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت
 فإذا قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح
 فلما تجاوزت بكتي قيل له ما يكفيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمه
 أكثر من يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال =

آخرًا: ولك بكل ردة ردتها مسألة تسألنيها يوم القيمة، ودعائه لأمته في الدعوتين، وقوله ﷺ: وأخرت الثالثة يوم يلجاً الخلاق فيه إلى أخي إبراهيم، ولا شك أن من يلتجأ إليه أعظم منزلة من الملتجئ المحتاج؛ فثبت بذلك وغيره رجحان مقامه على مقام الخليل عليه السلام.

[20] وأيضاً: فقد أخبرنا ﷺ: أن الخلاق إذا التجأوا يوم القيمة إلى إبراهيم ويقولون له: أنت خليل الله إشفع لنا، إنه يقول لهم: إنما كنت خليلاً من وراء وراء⁽¹⁾، فنبه أن خلته من وراء حجاب باقٍ، ولما ثبت رجحان نبينا ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام بما ذكرناه وبما سكتنا عنه وبما أخبرنا قبل موته بخمسة أيام أن الله قد اتخذه خليلاً، علمنا أن هذه الخلة ليست كذلك - لثبوت رجحانه على كافة الرسل - .

[21] ولما كان خلة الخليل من وراء حجاب، لزم أن تكون هذه

جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المحيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت لي سدراً المنتهي فإذا نقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدراً المنتهي وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإماء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمنتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال أمنتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإنني والله قد جربت الناس بذلك وعالجتبني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمنتك فرجعت فوضععني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت عنني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضععني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشرين صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمنتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنني قد جربت الناس بذلك وعالجتبني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمنتك قال سألت ربى حتى استحببته ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

(1) هذا الحديث سبق تحريرجه .

الخلة حاصلة دون حجاب ، وتلك مرتبة المحبوبة التي صرخ بها أيضاً في حديث آخر وأنها عبارة عن أن يكون كل واحد من المحبين مرأة الآخر بحيث يصير كل واحد منها محبًا ومحبوبًا وينطبع في كل واحد منها ما ينظري عليه الآخر تماماً . فافهم ، فهذا هو سبب الجمعية المتضمنة للختمية وغيرها من كمالاته المنبه عليها من قبل .

[27/22] وأعلم أنك متى استحضرت ما ذكرت لك في سر الكمال المحدمي وما انفرد به دون غيره ، عرفت أن شرف من عداه من الأنبياء عليهم السلام من حيث الآيات هو بمقدار نسبته من الجمعية التي انفرد بها نبينا ﷺ ، فترجحت آيات إبراهيم عليه السلام على من أعطى آية واحدة وأتيين بكثرة عدد الآيات وبعظامها أيضاً ، فإن أعظم آياته اختصاصه بعمارة الكعبة ، لأن الأرض محل الخلافة وصورة حضرة الجمجم؛ وورد في الحديث : «إن الله دحى الأرض من تحت الكعبة»⁽¹⁾ ، فعن سبطانه بإبراهيم عليه السلام نقطة مركبة الأرض ومبدأ انشائها وأسكنه بعد مفارقه هذه الدار السماء السابعة - محل روحانية الأرض - قبضت نسبته مع صورة الأرض روحانيتها . فافهم .

[27/23] وكذلك سخر له النار التي هي أعلى العناصر محلًا ومن حيثها افترخ إيليس على آدم ، فلو وقع النزاع المذكور مع إيليس في حق إبراهيم عليه السلام لما سانع لإيليس أن يفسخ الحق على إبراهيم عليه السلام - لفسخ الحق للنار - فتنظر .

[27/24] وأما موسى عليه السلام : فمن آياته تجلّي الحق له في عين حاجته - أعني النار - ومنها الشجرة ، ومنها العصا ، ومنها الحجر الذي انفجرت منه أشوا عشرة عيناً ، ومن آياته تفسخ الحق الماء أولاً حين رمي في اليم فسلمه الله ، وأخراً حين تبعه فرعون وقومه .

(1) أورده السسوطي في الدر المنشور قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَقُولُ إِلَيْهِ أَلْقَوْعَدَ﴾ . [310/1] وزعاه إلى عبد بن حميد .

[25/27] وأما صحة نسب عيسى عليه السلام من مقام الجمعية: فبدخوله ذوقاً وحالاً في دائرة الجمعية المحمدية وانصباغه بحكمها، وبه ختم الله سبحانه أحكام هذه الشريعة ودولة أحكامها أيضاً، وهذا كله من الزيادة على ما خص به من قبل تعليم الحق إيه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وتمكنه من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإحيائه بالنفح وإبراء الأكمه والأبرص والاطلاع على ما يأكل الناس في بيوتهم وما يدخلون وإنزال المائدة، فافهم، تصب إن شاء الله.

[26/27] وإذا قد يسر الله ما التمس بيانيه من أسرار مستندات حكم الفصوص وفك ختمها وكشف أصول مراتب من أضيف إليه دون التصدي لشرح الكتاب، وختمنا الكلام على مقام من ختم الله به كل شريعة ومقام.

[27/27] فلنختم ما كتبناه بقولنا: الحمد لله ولـي الإفضال والإنعم، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى كافة، وعلى سيدنا محمد وآلـه السادة الكرام والكمل من إخوانه وورثته، الحائزـين للمواريثـة التي تحقق بها على الكمال والتمام، حسبـنا الله ذو الجلال والإكرام وصلـى الله على أكـمل الخـلائق وآلـه العـظام.

فهرس المحتويات

3	تقديم
5	ترجمة المؤلف الشیخ صدر الدین القونوی
7	کتاب الفکوک فی أسرار مستندات حکم الفصوص
12	(1) فک ختم الفص الادمی
14	[سر تسمیة الأنبياء بالكلمات]
16	[الحرروف الأصلية الإلهیة]
15	[حضرۃ الارتسام]
16	[العقل الأول]
18	(2) فک ختم الفص الشیثی
18	[معنی لفظة شیث]
19	[سر الختمية]
19	[مراتب الختمية]
20	(3) فک ختم الفص التوھی
20	[صفة التنزیه]
22	(4) فک ختم الفص الإدريسي
23	[سر التقديس والعلو الحقیقی]
24	(5) فک ختم الفص الإبراهیمی
28	(6) فک ختم الفص الإسحاقی
28	[عالم الخيال]
29	[مراتب عالم الخيال]
30	[مراتب الناس]
33	(7) فک ختم الفص الإسماعیلی
42	(8) فک ختم الفص الیعقوبی

47	(9) فك ختم الفص اليوسفى
57	(10) فك ختم الفص الهدوى
61	(11) فك ختم الفص الصالحي
67	(12) فك ختم الفص الشعيبى
75	(13) فك ختم الفص اللوطى
76	(14) فك ختم الفص العزيرى
80	(15) فك ختم الفص العيسوى
86	(16) فك ختم الفص السليمانى
91	(17) فك ختم الفص الداودى
97	(18) فك ختم الفص اليونسى
100	(19) فك ختم الفص الأيوبي
103	(20) فك ختم الفص اليعيوي
106	(21) فك ختم الفص الزكرياوي
107	(22) فك ختم الفص الإلإياسى
109	(23) فك ختم الفص اللقمانى
111	(24) فك ختم الفص الهارونى
113	(25) فك ختم الفص الموسوى
116	(26) فك ختم الفص الخالدى
117	(27) فك ختم الفص المحمدى
127	فهرس المحتويات